جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية
فرع التاريخ
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالبة:
عزوز دنيا
يوم:2019/07/03

الحياة الاجتماعية و الثقافية في دمشق 1876-1908 م

لجنة المناقشة:

عماري الطيب	أ م ح أ	جامعة محمد خيضر-بسكرة	رئيسا
غرداين مغنية	أ.م.ح.أ	جامعة محمد خيضر- بسكرة	مشرفا
بوخليفي جهينة	أ م ح أ	جامعة محمد خيضر-بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2018-2019

شكر و عرفان

بداية أحمد الله تعالى وأشكره على توفيقه و تسديده لخطانا في استكمال هذا العمل المتواضع.

كما أتوجه بالشكر و العرفان للأستاذة المشرفة **زريان غرداين مغنية** على إشرافها لهذا العمل و توجيهاتها القيمة.

كما يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث سواء كان من بعيد أو قريب، وأخص بالذكر:

موفق هاجر. ذميخة مليكة.جهرة هدى.

الإهداء

الحمد لله الذي تتم به الصالحات .

أهدي هذا العمل المتواضع لوالدي الكريمين حفظهما الله .

و إلى روح أستاذي في مادة التاريخ و الجغرافيا جمال بوعبيد رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه.

قائمة المختصرات

ص=الصفحة.

ج=الجزء.

ط=الطبعة.

ع=العدد.

(د.د.ن)= دون دار نشر.

(د.ب)= دون بلد.

(د،ت)= دون تاريخ.

مج=المجلد.

تر=الترجمة.

تح=تحقيق.

مرا=مراجعة.

نق =نقل إلى العربية.

صح و عل = صححه و علقه.

تعر=تعريب.

م =ميلادي.

تق=تقديم.

مـــقـــدمـــــة

تعد دمشق إحدى أبرز حواضر المشرق العربي ، فقد حظيت بقدر من الأهمية السياسية و الدينية لفترات زمنية متتالية إلى أن ارتبطت بالدولة العثمانية بعد معركة مرج دابق سنة1516م إذ لعبت دورا مهما في تلك الفترة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لسياستها الاصلاحية اسهام كبير في إدخال تغيرات على مدينة دمشق من جميع النواحي، سيما الجانب الاجتماعي الذي امتاز بتنوع في تركيبته الاجتماعية خاصة التنوع العرقي بالإضافة إلى الجانب الثقافي الذي حظيت به مدينة دمشق.

ومن هنا جاء موضوع دراستنا موسوما بـ: الحياة الاجتماعية و الثقافية في دمشق 1876-1908م.

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ، و هي كالآتي:

ذاتية:

-التعرف على المجتمع الدمشقي من ناحية التركيبة الاجتماعية و عاداته و نشاطاته في الفترة 1876-1908م.

-إبراز ملامح الحياة الثقافية في دمشق.

موضوعية:

- كان اختيارنا لهذا العنوان هو اعتمادنا على كتاب الدكتورة ماري دكران سركو دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908م، إذ عدت هذه الفترة بمثابة الدور الثالث من التنظيمات العثمانية حكم خلالها السلطان عبد الحميد الثاني، و التي انتهت بإعلان الدستور سنة 1908م.

- إبراز فعالية فئات المجتمع فيما بينها، و الثقافة السائدة في تلك الفترة في ظل الاصلاحات العثمانية.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في إبراز بعض من الجوانب الاجتماعية سواء من ناحية شرائح المجتمع الدمشقي و فعالياته، و عن طبيعة العلاقة بين هذه الشرائح، و ما أبرز المرافق التي استعان بها و العادات التي سادت في المجتمع في تلك الفترة، أما الجانب الثقافي حاولنا إعطاء صورة عن نمط الثقافة سيما المرافق التعليمية التي أثرت الحياة الفكرية ومعرفة أحوال الطباعة و دور المكتبات و الصحافة في الفترة المدروسة.

الإشكالية:

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية:

ما مدى تأثير التنظيمات العثمانية على واقع الحياة الاجتماعية و الثقافية في دمشق خلال الفترة الممتدة 1876-1908م؟

الأسئلة الفرعية:

و للإجابة على هذه الإشكالية نطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

-كيف كانت بنية المجتمع الدمشقي؟

-فيما تمثلت مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك؟ و ما هي المرافق المنتشرة في تلك الفترة؟

-ما هي التغيرات الجديدة التي طرأت على المجتمع ؟ وما هي الفئة الجديدة التي ظهرت؟

-كيف كانت وضعية التعليم؟

-ما هي أوضاع كل من الطباعة و المكتبات و الصحافة في دمشق؟ و ما هي القوانين التي خضعت لها؟

دراسة الخطة:

و للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا الخطة على ثلاث فصول و مقدمة و خاتمة.

تناولنا في الفصل التمهيدي و الذي جاء تحت عنوان مدينة دمشق خلال الحكم العثماني الموقع الجغرافي و الفلكي للمدينة، بالإضافة إلى التنظيمات العثمانية وأثرها على مدينة دمشق في فترة الدراسة.

أما الفصل الأول جاء بعنوان الحياة الاجتماعية لسكان دمشق في العهد العثماني، اندرج تحته عنوان: بنية المجتمع الدمشقي الذي ضم الطبقة الخاصة و الطبقة العامة و أهل الذمة و باقي عناصر السكان. ومظاهر الحياة العامة في دمشق، ضم الاحتفالات العائلية و الأعياد الدينية و احتفالات قافلة الحج الشامي و كذا المرافق الاجتماعية و احتوى الأسواق و المقاهي و الخانات. أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان : الحياة الثقافية للمجتمع الدمشقي خلال العهد العثماني عالجنا فيه واقع المؤسسات التعليمية المنتشرة في تلك الفترة ،وكذا الطباعة و المكتبات و الصحافة .

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى وصف الحياة الاجتماعية و الثقافية لمدينة دمشق، و الكشف عن المتغيرات التي طرأت عليها في ظل سياسة الدولة العثمانية في الفترة 1876–1908م.

المنهج المتبع:

و لتحقيق هذه الأهداف اتبعنا المنهج التالي:

–المنهج الوصفي : اعتمدنا عليه في الفصول الثلاث بغرض سرد الأحداث التاريخية ، بطريقة وصفية كرونولوجية.

أهم المصادر و المراجع المعتمد عليها :

–ماري دكران سركو دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876–1908م ، استفدنا منه في وصف الحياة الاجتماعية لمدينة دمشق، حيث ساعدنا في الاطلاع على بنية المجتمع و كذا المرافق التي انتشرت في تلك الفترة من مقاهي و أسواق و خانات و كذا مظاهر الحياة العامة من احتفالات عائلية ودينية.

– عبد العزيز محمد عوض الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864–1914م استفدنا منه في معرفة أثر التنظيمات العثمانية على دمشق في الفترة 1876–1908م. وكذا فئات المجتمع الدمشقي، بالاضافة كذلك إلى وضعية التعليم.

– اسكندر لوقا الحركة الأدبية في دمشق1800–1918م.استفدنا منه في دراسة الحياة الثقافية من ناحية المؤسسات التعليمية وكذا المكتبات و طبيعة المنتوج الفكري الذي تحتويه من خلال وصف رصيدها.

– نعمان القساطلي الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، يعتبر مصدر هام تناول هذه الفترة حيث استفدنا منه في تقديم وصف للمرافق الاجتماعية بخصوص الأسواق و المقاهي و الخانات. من حيث تعدادها و وصفها.

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات، ومن جملة الصعوبات التي واجهتنا:

– جدة الموضوع لأنه قيد الدراسة.

– ضيق الوقت.

– بحث واسع.

الفصل التمهيدي: مدينة دمشق خلال الحكم العثماني

عرفت دمشق بموقعها الاستراتيجي المهم باعتبار أنها مركز بلاد الشام، هذا ما خلق لها مكانة هامة بالنسبة للدولة العثمانية، فيما يلي سنستعرض أوضاع المدينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني و التطورات التي حدثت لها في الفترة الممتدة من 1876-1908م .

1-الموقع والأهمية:

أ- الموقع الجغرافي والطبيعي لمدينة دمشق :

تقع مدينة دمشق في الجنوب الغربي من سورية، على دائرة العرض(31ْ، 33ْ) شمالا خط الاستواء[1] وخط طول(17ْ، 36ْ) شرقي غرينيتش، وتعلو عن السطح البحر نحو(700م)[2] وقد شيدت المدينة عند مخرج بردى[3] من الخانق الذي حفره في الكتلة الجبلية فيما بين الحصون وجبال لبنان الشرقية وعند مدخل الصحراء التي تمتد شرقا حتى الفرات[4].

ب-البنية و التضاريس: تقوم مدينة دمشق على الطريق الغربي من الحوض الواسع الذي يقع إلى الشمال من هضبة حوران و يعرف بـ" حوض دمشق" الذي يشغل مساحة قدرها(3600كلم)، تطوقه سلاسل القلمون من الشمال والغرب والصفوح البركانية من الجنوب والشرق، ويرجع تشكل هذا الحوض إلى ارتفاع السلاسل التدمرية كجزء من الالتواءات الألبية، وعرفت معالم هذا الحوض تمددا بواسطة الحمم البركانية[5].

---

[1] عدنان المصري: تأثر حركة نقل الركاب بالتوسع العمراني في مدينة دمشق، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 2014 ـ 2015، ص 52.انظر: لطيفة بورابة: دار جبري بمدينة دمشق، (دراسة تاريخية وأثرية)، معهد الآثار، جامعة الجزائر(2)، الجزائر، (د.ت)، ص 150.

[2] ندى القصيباتي: أثر البيئة المبنية على التوازن البيئي والعمراني(مثال: مدينة دمشق) التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، سوريا، ع 36، ديسمبر 2013، ص 137.

[3] بردى : ثلاث فتحات، هو نهر بدمشق، ينقسم إلى أقسام : نهر يزيد ، قناة مزة ، نهر الدارني ، نهر ثورى نهر القنوات و بانياس. انظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي: معجم االبلدان ، دار صادر، بيروت، مج (1)، 1977، ص 378.

[4] عدنان المصري، المرجع السابق، ص 52.

[5] المرجع نفسه ، ص 52.

التي اندفعت من الجنوب على دفعات عديدة، ثم تابعت الحمم البركانية فيما بعد التفافها حول الحوض من جهة الشرق و بروز الجبال حوله[1].

بالنسبة لمظاهر السطح فيمثل منخفض دمشق الامتداد الشمالي لجبل العرب، كما يمثل جبل قاسيون الكتلة الجبلية الوحيدة في المدينة إذ يبلغ متوسط ارتفاعها نحو(1149م) فوق مستوى سطح البحر، ويتصل بسلسلة جبال لبنان من جهة الغرب وسلسلة جبال القلمون من جهة الشمال والشرق ويقطعها وادي بردى عند خانق الربوة في الغرب، كما يخترقها وادي منين عند برزة وبين هذين الواديين الرئيسيين توجد عدة وديان أسماؤها كالتي: جبل قاسيون(1149م) وجبل الصالحية(1079م) ثم جبل برزة(1028 م)[2].

كما يتميز مناخها بصيف طويل وحار جاف وشتاء مطير رطب[3]، يصفها كرد علي في قوله: "...**فهي سلسلة جبلية معتدلة الهواء تأخذ الفصول الأربعة فيها حقها. وهي هبة بردى**"[4].

ج-الأهمية الحضارية لدمشق:

تعد دمشق من أقدم مدن الأرض قدما، وأكبرها سنا وأرسخها في الحضارة، حيث كانت مدينة عامرة قبل أن تظهر بغداد والقاهرة[5]، إذ يصفها ابن شداد(ت684هـ/1285م):" **بأنها أحسن بلاد الشام بمكانا، وأعدلها هواءا، وأطيبها بشرا، وأكثرها مياها، وأغزرها فواكه**" [6].

---

[1] عدنان المصري، المرجع السابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] كرد علي محمد: دمشق مدينة السحر والشعر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 8.

[5] علي الطنطاوي: دمشق صور من جمالها، وعبر عن نضالها، دار المنار، السعودية، ط2، 1997، ص 8.

[6] ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء، الشام والجزيرة، تاريخ مدينة دمشق، تح: سامي دهان، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، 1956 ، ص 20.

بالنسبة لاشتقاق اسمها، فيذكر ابن عساكر أن:" ...**دمشق من "دَمْشَقَ". أي: السريعة**"،ويضيف في موضع آخر" ...**إنما سميت دمشق بالرومية، وإن أصل اسمها" دوومسكس" أي: مسك مضاعف لطيبها. ذلك أن" دوو" للتضعيف و"مسكس" هو "المسك"، ثم عربت، فقيل: دمشق**"[1].

ولقد تعاقبت على المدينة فترات تاريخية هامة، كان بدايتها مع العهد الأرمي(1100ق.م 732ق.م) ، حيث وقعت تحت حكم الأشوريين عدة قرون، ثم انتقلت إلى حكم الكلدانيين في القرن السابع قبل الميلاد[2]، وظلت تحت سيطرتهم إلى أن احتلها الفرس في القرن السادس(538ق.م)[3].

كما عرفت مدينة دمشق تأثير الحضارة الهلنستية فقد شيد فيها حيان جديدان غير أحياء الآرامية على نمط التخطيط الشطرنجي السائد في المدن الهلنستية، ولا تزال شواهده متمثلة في الشارع المستقيم الذي يخترق المدينة من باب الجابية إلى الباب الشرقي[4]، عندما سيطر عليها اليونانيون عام(331ق.م) بقيادة الاسكندر المقدوني، ثم عرفت حكم السلوقيين، وذلك بعد أن أسس سلوقس المملكة اليونانية السورية وجعل عاصمتها إنطاكية سنة(312ق.م) [5].

استطاعت روما في سنة 64م أن تضع حدا للسيطرة السلوقية على بلاد الشام إذ ظهر القائد الروماني بومبيوس على مسرح الأحداث، واستطاع جعل سورية جزء من الإمبراطورية الرومانية فاحتفظت دمشق بمكانتها كعاصمة لبلاد الشام، إلا أن إنطاكية تفوقت عليها و غدت أسبق المدن في بلاد الشام إلى حياة الترف، كما عدت أول مركز للمسيحية أيضا، إذ غدت كنيستها أم الكنائس علما أن أوائل الدعاة للدين المسيحي كانوا ينطلقون من إنطاكية لأعمالهم التبشيرية و يعودون إليها للرفع تقاريرهم [6].

---

[1] ابن عساكر: تاريخ دمشق، فضائل الشام وخطط دمشق، تح: روحية النعاس وآخرون، دار الفكر، سورية، (ج1)، 1984، ص48.

[2] لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص 150.

[3] المرجع نفسه، ص 150. انظر: أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ط3، 1994، ص 66.65.

[4] فؤاد طوبال: دمشق سجل الحضارة و الفن، كلية الفنون الجميلة، دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008،جامعة دمشق، ص167.

[5] لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص 150.

[6] أحمد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 73-74.

و قد ظلت مدينة دمشق تحت السيطرة الرومانية إلى غاية النصف الأول من القرن السابع إلى غاية أن فتحت من طرف الجيوش العربية الإسلامية بقيادة أبي عبيد بن الجراح وخالد بن الوليد و يزيد بن معاوية وهذا بعد واقعة اليرموك في زمن الخليفة عمر بن الخطاب[1].

وفي العصر الأموي شهدت نهضة عمرانية جديدة، إذ جعل من دمشق عاصمة للدولة الأموية هذه الأخيرة عرفت استقرارا سياسيا واقتصاديا[2]، وهذا بسبب رغبة الخلفاء في الأعمار والبناء والفنون فظهر تطور بارز في شخصية الفن الإسلامي[3]، فقد ضمت منازل كبار رجال الدولة و الولاة و بني الجامع الأموي الكبير[4]، ولكن هذه الدولة سقطت تحت ضغط الدعوة العباسية[5] [6].

بعد إعلان قيام الدولة العباسية سنة 750م، تراجعت مكانة دمشق بعد أن كانت عاصمة إلى ولاية من الولايات الدولة العباسية، هذه الأخيرة التي اتخذت من بغداد عاصمة لها[7]، وظلت مدينة دمشق تحت حكم الولاة التابعين لبني العباس سواء من حكم الطولونيين الذين سيطروا على مصر والشام والثغور المتاخمة للروم منذ سنة 878م[8]، أو حكام الدولة الأخشيدية في مصر عام 938م إلى غاية فرض الفاطميين سيطرتهم عليها سنة 969م[9].

---

[1] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مكتبة النهضة، بيروت، القاهرة، ط14، 1996، ص 185 ـ 188.

[2] نادية محمود مصطفى: الدولة الأموية دولة الفتوحات 41ـ136هـ/661 ـ 750م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ج8، 1996، ص 13 ـ 15.

[3] غزوان مصطفى ياغي: المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية في سورية، منشورات المنظمة الإسلامية الأثرية والعلوم والثقافة، الرباط، 2011، ص 16.

[4] فؤاد طوبال ، المرجع السابق، ص 147.

[5] الدعوة العباسية: نسبة لبني العباس الذين استطاعوا تأسيس الدولة العباسية سنة 132هـ، اتخذت من الكوفة و خرسان مركزين لها .انظر: محمد الخضري بك: الدولة العباسية، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة ، 2003 ، ص 17-18.

[6] غزوان مصطفى ياغي، المرجع السابق، ص 16.

[7] المرجع نفسه، ص 17.

[8] لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص 152.

[9] المرجع نفسه، ص 152.

شهدت مدينة دمشق أصعب فتراتها في ظل الحكم الفاطمي، وذلك بسبب اختلاف مذهبي بين الحاكم والرعية، مما نتج عنه قيام ثورات داخلية أسفرت عن تخريب للمدينة[1]. بالإضافة إلى أن أهمية دمشق انحصرت باعتبارها قاعدة للحروب ضد البيزنطيين[2].

وفي سنة 1075م، انتزع الأمير السلجوقي" تتش" الحكم من الفاطميين، ثم خضعت لحكم نور الدين زنكي[3]، هذا الأخير في زمنه استعادت دمشق مكانتها، إذ بدأت فيها عملية بنيان لم تشهدها المدينة منذ العصر الأموي، كذلك أبطل دفع الجزية التي كانت تدفعها دمشق لمملكة القدس الصليبية[4].

و في عصر أتابك السلاجقة و الأيوبيون، جعل من دمشق موقعا حربيا و مركزا ثقافيا و دينيا فكانت سياستهم متجهة نحو تثبيت الإسلام، فاعتنوا اعتناءا خاصا بالمنشآت العسكرية الرامية إلى الدفاع عن المدينة التي هددها الصليبيون عامي 1129م–و 1148م، و من جهة أخرى ببناء المدارس التي تعمل على نشر العلوم الإسلامية بين الناس[5].

وفي عهد المماليك اعتبرت مدينة دمشق من حيث موقعها قاعدة الحملات العسكرية ضد الإفرنج إذ شهدت ازدهارا حضاريا مميزا، حيث ارتقت الفنون والآداب والعلوم، كما بلغ من العمارة بهذه العصر قمة تطوره حيث بنيت الجوامع والمدارس والحمامات والأسواق والخانات[6].

---

[1] غزوان مصطفى ياغي، المرجع السابق، ص 16.

[2] بن شداد، المصدر السابق، ص 25.

[3] نور الدين زنكي : هو محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل ، المتوفي سنة 529هـ/1174م، ملك الشام و ديار الجزيرة و مصر، وقف حياته على طرد الصليبيين من بلاد التي ملكها. انظر: محمد بن عيسى ابن كنان الصالحي الدمشقي، المواكب الإسلامية، تح:حكمت إسماعيل، مرا: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،ج2 ،1993 ،ج2، ص 211.

[4] غزوان مصطفى ياغي، المرجع السابق، ص 19 ـ 20.

[5] جان سوفاجيه : دمشق الشام، تح: أكرم حسن العلبي، تع: فؤاد أفرام البستاني، الوراق، 1989 ، ص 78.

[6] غزوان مصطفى ياغي، المرجع السابق، ص 21. انظر: حسام الدين عباس الحزوري: الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية(648هـ ـ1250م/784هـ ـ 1383م)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص 19 ـ 25.

و في إطار الفتوحات العثمانية سيطر السلطان سليم الأول على مدينة دمشق سنة 1516م، بعد معركة مرج دابق التي كانت بين الجيوش العثمانية و قانصوه الغوري، ومنذ ذلك الوقت لاقت دمشق اهتمام خاص من طرف الدولة العثمانية وذلك بكونها تمثل طريقا للحجيج مع ما تقتضيه من تأمين رحلاته بما يتفق وهيبة الدولة وسلطانها الذي أصبح"خادما للحرمين الشريفين" فضلا عن أهمية مواردها الاقتصادية والتجارية[1].

2- أوضاع دمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(1876ــ 1908م):

أ- التنظيمات العثمانية(1839 ــ 1876م):

أطلق اسم التنظيمات على حركة الإصلاح التي قامت في الدولة العثمانية منذ صدور مرسوم كلخانة[2] في سنة1839م، وحتى إعلان الدستور العثماني الذي عرف بـ(القانون الأساسي)، في سنة1876 وذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقد اقترن اسم التنظيمات لمرسومين سلطانيين إصلاحيين، كان أولهما مرسوم كلخانة، وثانيهما(خط همايون)[3] الصادر في عام1856م، وقد صدر كلاهما في عهد السلطان عبد المجيد الأول[4]، كما أن التنظيمات لم تتوقف بعد 1856م، بل استمرت إلى غاية 1914م، وعليه تكون حركة التنظيمات العثمانية قد اسغرقت مائة و خمسين سنة، انقسمت إلى أربعة أدوار هي كالأتي[5]:

-الدور الأول: محاولات الإصلاح و التجديد حتى إعلان خط كلخانة 1839م.

---

[1] أحمد زكريا الشلق: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 ـ 1916، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 72.

[2] كلخانة: الساحة التي تمتد من سراي بورتو إلى أسوار قصر طوب قابي، المطلة على البحر، سميت بذلك نظرا لكونها كانت حدائق للزهور. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة : عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 192.

[3] خط همايون: اسم يطلق على ما يخطه السلطان بيده من أمر، ويحرره الصدر الأعظم، ويسمى ـ كذلك(خط شريف)، انظر: الخطيب عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص 55.

[4] جميل موسى النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 23.

[5] عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية1864-1914، دار المعارف، مصر، 1969، ص11-12.

-الدور الثاني: من خط كلخانة 1839م حتى إعلان القانون الأساسي 1876م.

-الدور الثالث: التنظيمات في فترة ما بين المشروطيتين (1876-1908م).

-الدور الرابع: التنظيمات في العهد الدستوري (1908-1914م)[1].

وتعود بداية حركة الإصلاح إلى عهد السلطان سليم الثالث(1789 ـ 1807م) والذي انصبت جهوده في إصلاح المؤسسة العسكرية إصلاحا يتناسب مع النظم الأوروبية في نشأة الجيش النظامي وسار ذلك وفقا لخطوات عملية، وكما تمثلت بخطوات السلطان محمود الثاني(1808 ـ م1839)[2] الذي استطاع أن يستأنف الإصلاحات العسكرية، فقام بإلغاء الانكشارية وأسس النظام الجديد واسماه "العساكر المحمدية المنصورية"[3]، وقام بإنشاء وزارتي الخارجية والداخلية، بهدف تقوية سلطته المركزية وتحسين مركزه اتجاه الغرب[4].

ولم تتوقف عجلة الإصلاح عند الإصلاحات العسكرية، بل سارت لتشمل جوانب أخرى كان في مقدمتها طريقة حكم وإدارة الولايات التي أرادها أن تكون مركزية، للقضاء على نفوذ العصبيات المحلية واعتبرت محاولات السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني بمثابة الأرضية الصلبة لما أطلق عليه بالتنظيمات العثمانية التي بدأت مع تولي السلطان عبد المجيد للحكم (1839 ـ 1861م) وامتدت إلى غاية إعلان الدستور العثماني عام 1876م[5].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 11-12.

[2] وجيه كوثراني: السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988، ص 81.

[3] حسام النايف: لواء إسكندرية حكاية وطن سلب عنوة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص 22.

[4] المرجع نفسه، ص 22.

[5] جميل موسى النجار، المرجع السابق ،ص 26.

وتعود الأسباب التي أدت إلى إصدار تلك التنظيمات إلى مجموعة من العوامل وهي كالتالي:

- الصراع بين المؤسسة الانكشارية والسلاطين؛ إذ ظهر هذا الصراع لأول مرة في عهد السلطان بايزيد الثاني(1481 ـ 1512)، حيث ثار الانكشارية على السلطان وعزلوه ونصبوا ابنه سليم الأول (1512 ـ 1552) بدلا عنه ، ودام هذا الصراع الداخلي أكثر من ثلاثة قرون(1512 ـ 1826م) واستمر طيلة ثلاث وعشرون سلطانا عثمانيا وبدا منذ نهاية عهد السلطان بايزيد الثاني، وحتى أواسط عهد السلطان محمود الثاني(1808 ـ 1839م)[1] .

مما نتج عن هذا الصراع إهمال الدولة العثمانية للتهديدات الخارجية المحيطة بها وانشغالها بالاضطرابات الداخلية وكذلك هناك سبب آخر؛ هو لجوء جميع السلاطين إلى الاستعانة بالعامل الخارجي، وذلك باستجلاب خبراء أوروبيين لتقديم مساعدات واستشارات أوروبية بغية القضاء على الانكشارية ،إلا أن هذه الاستعانة فرضت التدخل الأجنبي في إدارة الدولة، مما أدى في الأخير إلى إصدار التنظيمات وفق النمط الأوروبي[2].

وعد خط كلخانة الذي أصدر في3 نوفمبر1839م، أول خطوة في عهد التنظيمات والذي نص على تأمين شعوب الدولة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مما تنوعت ديانتهم وجنسياتهم، كذلك قرر نظما جديدة لتقدير الضرائب وجبايتها حسب الثروة والربح كما قرر نظما جديدة للخدمة العسكرية وتحديد مدتها بخمس سنوات، كما أنشأ إدارة مركزية يكون لها إشراف وثيق على الإدارات الإقليمية في أنحاء الدولة[3].

أما بالنسبة للمرسوم الثاني فقد عرف بمنشور التنظيمات الخيرية الذي أصدر بتاريخ 18 فيفري 1856م، حيث أكد السلطان في هذا المنشور الأخير المبادئ الإصلاحية[4].

---

[1] هادي جبار حسون، ضرار خليل حسن: الأسباب الحقيقية لصدور التنظيمات العثمانية، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج3، ع6، (د.د .ن)، أكتوبر2016، ص 290.

[2] هادي جبار حسون، ضرار خليل حسن، المرجع السابق، ص 290.

[3] محمد حسن الدقن: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، كلية اللغة العربية، القاهرة، 1979، ص 99.

[4] إسماعيل احمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكات، الرياض، 1995، ص 155.

التي قام عليها منشور كالخانة عام 1839م. واشتمل على المساواة التامة بين رعايا الدولة أمام القانون، واحترام حق التملك وإلى غير ذلك من القواعد المستمدة من الأنظمة الأوروبية[1]. والواضح من استصدار هذين الخطين هو الرغبة في إلغاء نظام الالتزامات، نظرا إلى ما جر هذا النظام على الخزينة وعلى الفلاحين معا من إفقار ومظالم، والرغبة أيضا في إنشاء إدارة وقضاء يستوعبان" التنوع الملي" على قاعدة المساواة الحقوقية بين الملل في الإدارة والقضاء والجيش والتعليم وعلى قاعدة التوفيق بين مصالح الملة و" الوطن"في إطار التبعية العثمانية الواحدة[2].

وعليه تتمثل المعالم الرئيسية لحركة الإصلاح والتجديد العثمانية في ثلاث نقاط وهي[3]:

- الاقتباس من الغرب فيما يتعلق بتنظيم الجيش وتسليمه في نظم الحكم والإدارة.
- الاتجاه بالمجتمع العثماني نحو تشكيل العلماني.
- الاتجاه نحو مركزية السلطة في اسطنبول والولايات.

فشلت المحاولات الإصلاحية للسلطنة، وتعرضت الدولة لكارثة الإفلاس في عام1851م وعام 1875 م، فتضاعفت قروضها الخارجية[4].

أول خطوة قام بها السلطان عبد العزيز (1861-1876م) في إطار الإصلاح هو إصدار نظام الولايات عام 1864م، الذي هدف إلى تحسين الإدارة الحكومية في الولايات، وتأكيد سيطرة الدولة عليها، فقسمت ولايات الدولة إلى وحدات إدارية ، بلع مجموعها سبعا وعشرين ولاية و لكل ولاية منها وال، و قسمت كل ولاية بدورها إلى وحدات أصغر تعرف بالسناجق، وقسمت السناجق إلى أقضية و الأقضية قسمت إلى نواح وقرى، و حدد نظام الولايات وظائف اختصاصات كل الولاة و المتصرفين و المخاتير و قائمي المقام و رؤساء الدوائر القضائية و المالية[5].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 155.

[2] وجيه كوثراني، المرجع السابق، ص 82 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 152.

[4] حسام النايف، المرجع السابق، ص24.

[5] المرجع نفسه، ص 24.

كما عمل السلطان عبد العزيز على تقوية الجيش، فعمم الخدمة العسكري في أنحاء السلطنة و نسق قوانينها، و زود الأسطول العثماني بالمعدات و المدمرات، إضافة إلى تنظيم المعاملات البريدية و أجرى إصلاحا و تنظيما لمجلس الشورى و ديوان الأحكام العدلية[1].

وكانت أبرز الجهود التشريعية في عهده هو إصدار قانون في 16 جوان 1868م الذي أجاز للأجانب امتلاك العقارات مع تمتعهم بالحقوق العينية و التصرف بها، كما أنشأ مجلسا للدولة و محكمة عليا وفي خضم هذه الإصلاحات سارت الدولة إلى الإفلاس، فخسرت ممتلكاتها البلقانية إضافة إلى زيادة القروض الخارجية.

وفي ظل هذه الانعكاسات السلبية التي أفرزتها التنظيمات، تم تشكيل مجلس سري أول سنة 1875م ضم ممثلي الدول الأوروبية ، إضافة إلى الدولة العثمانية، وفي سنة 1876م تشكل حزب سري ثاني ضم كبار المسؤولين في الدول العثمانية، هدف إلى عزل السلطان عبد العزيز، وبالفعل تمكن هذا الحزب من خلعه في 30ماي1876م، وتولى الحكم السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد في العام نفسه إلا أن حكمه لم يدم سوى93 يوما، ثم تم عزله بتهمة الاختلال العقلي وأفتى بخلعه وتولى الحكم بعد أخوه السلطان عبد الحميد الثاني(1876 ـ 1909)[2].

ب- أثر التنظيمات العثمانية على دمشق(1876-1908م):

كان من آثار التنظيمات العثمانية أنها أخذت في تطبيق الحكم المركزي، وهذا بعد أن استطاعت القضاء على النظام الإقطاعي إلا أنه الشيء الوحيد الذي يؤخذ على الدولة العثمانية أنها أثناء تطبيقها بالغت كثيرا في المركزية ، ولم تطبق الإصلاحات في جميع الولايات على مستوا واحد من السرعة و الشمول[3].

[1] حسام النايف، المرجع السابق، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 25 ـ 26.

[3] غانية بعيو : التنظيمات العثمانية و آثارها على الولايات العربية الشام و العراق نموذجا 1839-1876، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ،2008-2009، ص 173.

كما واجهتها صعوبة في بعض الولايات العربية التي عرفت تطبيقا للتنظيمات بشكل واسع وسريع ،أما تطبيقها في الولايات الأخرى كان محدود، فصعب على الدولة تطبيق نظام الحكم المركزي[1] .

و هكذا نجد أن ولاية سورية كانت من بين الولايات التي نجح النظام المركزي فيها إلى حد كبير فقد شملت الإصلاحات جميع الجوانب سواء تنظيم التعليم و إنشاء المدارس العالية أو من الناحية القضائية في إنشاء محاكم تجارية، وتنظيم الشؤون الإدارية و حددت اختصاصات الولاة و الموظفين و ربطتها بالعاصمة بدمشق، هذه الأخيرة اعتبرت لواءا من الصنف الأول حيث كان المتصرف يتقاضى مرتب شهري بقيمة 75 ليرة عثمانية في الشهر، و هو مبلغ لم يتقاضه متصرف آخر ، باستثناء متصرف بيروت[2].

من بين التغيرات الإدارية التي طرأت على لواء دمشق في هذه الفترة ، أنه كان إما تلحق به أقضية أو تفصل عنه أو يجري تشكيل قضاء جديد، ففي سنة 1868م ضم لواء دمشق نواحي المرجة و الغوطة و جبل قلمون و وادي بردى ووادي العجم مع ناحية البقاع الشرقي، وبعلبك و البقاع الغربي ، مع راشيا و حاصبيا ثم ألغيت متصرفية المركز لواء دمشق بموجب الإرادة السنية المؤرخة عام 1871م، ثم أعيد تشكيلها ثانية سنة 1878م و أوكلت إدارتها معاون الوالي بموجب الإرادة السنية اعتبارا من سبتمبر 1886م[3].

و في سنة 1890م ضم لواء الشام كل من أقضية بعلبك و يتبعها زهاء 76 قرية ، و البقاع يتبعه 60قرية و مزرعة و ناحية ، أقضاء وادي العجم فشمل 82 قرية و 23 مزرعة و قضاء دوما و فيه 74 قرية و 19 مزرعة ، و ضم قضاء النبك 30قرية و 3 مزارع ،أما قضاء حاصبيا فتتبعه 18 قرية أما قضاء راشيا كان يتبعه 17 قرية[4].

---

[1] غانية بعيو، المرجع السابق، ص 173.

[2] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص ص 35 ـ 73.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

[4] المرجع نفسه، ص 74.

وفي سنة 1900م ضم لواء الشام التشكيلات الإدارية الأتي ذكرها في الجدول[1]:

القضاء	المركز	عدد النواحي	عدد القرى
الشام	دمشق	/	50
بعلبك	بعلبك	02	61
البقاع	المعلقة	/	51قرية .15مزرعة
النبك	النبك	02	28
دوما	دوما	01	60
وادي العجم	قطنا	/	24
حاصيبيا	حاصيبيا	/	18
راشيا	راشيا	/	20
الزبداني	الزبداني	/	28

وحدث تنازع بين ولاية سورية مع متصرفية جبل لبنان على ملكية بعض الأراضي التي تقع في قضاء البقاع التابع للواء دمشق، دام هذا النزاع أكثر من سنة ، فشكلت لجان مشتركة ضمت ممثلين عن ولاية سورية و جبل لبنان ، لفض هذا النزاع ، أفضت إلى تدخل الدولة العثمانية و فضه سلميا عن طريق تعديل الحدود الفاصلة بين الولاية و المتصرفية[2].

من الناحية العسكرية كان مركز الجيش الخامس في دمشق، فضم الفرقة رقم 17مشاة، و الفرقة 05 خيالة، وبالنسبة للتجنيد كان الأهالي يتجنبون الخوض في الأمور العسكرية إلا أن الدولة العثمانية طبقت أسلوب القرعة الشرعية فكان السلطان يبعث بفرمان القرعة في كل عام إلى المدينة[3].

[1] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 74.

[2] المرجع نفسه ، ص 75.

[3] المرجع نفسه، ص 143.

يقرأ على الملأ تحت مراسيم خاصة، أما بالنسبة للتجنيد العربان لم يكن سهلا حيث كان يتم إغراؤهم و ترغيبهم و قد نجحوا في ذلك[1].

ففي سنة 1876م أصابت القرعة الشرعية في الشام (البقايا) ممن أعمارهم أقل من ستين عاما و أحالت إلى الخدمة العاجزين من السكان إلا أنه كان عليهم رسوم مقابل الإعفاء[2].

[1] عبد العزيز محمد عوض، ص 143.

[2] المرجع نفسه، ص ص 143 -148.

مست التنظيمات العثمانية منذ 1839-1908 م جميع الولايات العربية التي كانت تحت لواء الدولة العثمانية، فاختلفت في مدى تطبيقها بين الولايات ، وكذلك أن ما جاءت به كان كله مستوحى من الأنظمة الأوروبية و بالتالي أحدثت فجوة داخل الدولة العثمانية، قادتها إلى التدهور و الانحطاط وبالنسبة لدمشق كانت قد طرأت عليها تغيرات طيلة فترة الإصلاحات شملت جميع النواحي، وفيما يلي سيكون عرض للأوضاع الاجتماعية في ظل هذه الإصلاحات.

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية لسكان دمشق في العهد العثماني

امتازت دمشق كسائر المدن العثمانية بالتنوع الشديد في تركيبة مجتمعها، هذه الأخيرة كان لها أثر في الحياة الاجتماعية للمدينة من جميع النواحي، هذا بالإضافة إلى أنها اختلفت في بعض الأحيان وهذا راجع لمكانة الفئة من جهة، و الدور التي تقوم به من جهة أخرى في المجتمع .

1-بنية المجتمع الدمشقي:

أ-الطبقة الخاصة: تعتبر الطبقة الخاصة من أهم الطبقات التي تميزت عن باقي السكان، إذ أنها تتمتع بجملة من الامتيازات مكنتها من احتلال مكانة مرموقة في المجتمع، فمن أهمها:

1-الفئة الحاكمة: و ضمت هذه الفئة كل من الوالي و الدفتر دار و الكاخيا و المتسلم و الصوباشي، و أصناف الجيش و موظفي الحكومة.

فقد كان صاحب هذه الوظيفة ، يتلقى تأهيل خاص في العاصمة اسطنبول وعلى إثرها يحمل شهادة عليا و يكون تسلمه للوظيفة عن طريق فرمان سلطاني[1].

و قد عرف عن أهل دمشق ابتعادهم عن هذه الوظيفة لعدم تمكنهم من اتقان اللغة التركية و التي هي اللغة الرسمية للدولة، و مع صدوره قانون التنظيمات القضائية في فترة السلطان عبد الحميد الثاني، استلم العديد من المسيحيين مراكز قضائية مهمة في مدينة دمشق، ومن بين هؤلاء ميخائيل أفندي أحمد أحد أعضاء محكمة استئناف الحقوق بولاية سورية كذلك يوجد عزتلو جيران أمين صندوق مال ولاية سورية، وشهدت هذه الفترة طغيان الأرثوذكس الدمشقيين على معظم الوظائف الحكومية[2].

و يرجع سبب ابتعاد أهل دمشق عن الوظائف الحكومية، هو خوفهم من التجنيد الذي فرضته الحكومة العثمانية، بالإضافة إلى عدم تمكن البعض منهم من معرفة اللغة الرسمية للدولة التي لم يكن يعلمها سوى بعض المنحدرين من أصول تركية، ومع ذلك لم تكن هذه الوظائف حكرا على المسيحيين فقط بل كان للعرب نصيب فيها[3].

---

[1] ماري دكران سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908م، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ، 2010، ص 24.

[2] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام تاريخ الشام وأهلها ، تح: نجدة فتحي صفوة، رياش الريس، لندن، 1987، ص147.

[3] ماري دكران سركو، المرجع ، السابق، ص 24 .

2- فئة رجال الدين والعلماء و الأشراف : تعتبر هذه الفئة المثقفة في الدين ، التي حرصت منذ العصور الإسلامية الأولى على الدفاع عن سنية الدين الإسلامي و أصالته و محاربة البدع التي تحاول تشويهه، و هي بمثابة السلطة الدينية التي اختصت و تفرغت لأمور العقيدة و الشرع و التعليم والحياة الفكرية و العلاقات الاجتماعية ، و أخذت على عاتقها تنظيم حياة المجتمع العربي القائم على تقاليده العريقة وحمايته من أي تقلبات سياسية[1].

تضم هذه الفئة ثلاث مجموعات[2] :

-القضاة: الذين يطبقون أحكام الشريعة الإسلامية في المحاكم .

- المشرفون على المساجد : كالخطباء و الأئمة و المختصون بشؤون المسجد.

-المشرفون على المدارس و المعلمون فيها.

كان العلماء يقيمون حلقات درس و مطالعة في بيوت خاصة أو منازل الوجهاء، إذ يتم فيها إلقاء الدروس أو قراءة بعض الكتب الدينية، هذا بالإضافة إلى مجالسهم في الجوامع[3].

في هذه الفترة ظهرت مجموعة من العلماء المصلحين الذين دعوا إلى التمسك بمحاسن الأخلاق و القيم الإسلامية و الانفتاح عن الغرب من خلال الأخذ بالصالح و نبذ كل مالا ينسجم مع الشريعة و العقيدة الإسلامية، في إطار حلقة منظمة، فكان من أهم رواد هذه الحلقة الشيخ طاهر الجزائري[4] رئيسا لها[5].

---

[1] محمد الخطيب : بلاد الشام في العهد العثماني، دار مؤسسة رسلان ، دار علاء الدين ، دمشق ،2018 ، ص 162.

[2] المرجع نفسه، ص 163.

[3] نقولا زيادة : أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت،1994.ص 152.

[4] طاهر الجزائري: هو طاهر بن محمد صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري ولد سنة 1852م بدمشق، درس في مدارسها أتقن اللغة العربية و الفارسية و التركية، السريانية، العبرانية، الحبشية ، الأمازيغية، تقلد عدة مناصب، معلم بالمدرسة الظاهرية و عضوا بجمعية خيرية، مفتش عام للمدارس الابتدائية، ، ألف كتب تدريس لصفوف الابتدائي، سافر إلى مصر سنة 1907م، عاد إلى دمشق سنة 1919م، بعد أربعة أشهر من عودته توفي سنة 1920م، و دفن في سفح قاسيون ، انظر : رغداء محمد أديب زيدان : طاهر الجزائري و حلقة دمشق الكبرى، التراث العربي ، ص 31-33.

[5] حازم زكريا محي الدين : الشيخ طاهر الجزائري 1852-1920 رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث ، دار البشير، جدة ، 2001 . ص 41-42.

و الشيخ جمال الدين القاسمي[1]. والشيخ عبد الرزاق بيطار[2]و محمد كرد علي[3] أعضاء بها[4] وكان لهذه الحلقة اجتماع دائم بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع وأغلبها ما يكون في منزل رفيق العظمة[5]. وقد استمرت هذه الحلقة بالانعقاد حتى بعد سفر الشيخ طاهر الجزائري إلي مصر عام1907م[6]

كما وجدت أيضا في دمشق الطرق الصوفية التي عرفت بزهد علمائها و كرامة مؤسسيها و اتباع النهج السليم ،حيث سعوا جاهدين في الحفاظ على الشريعة الإسلامية ، فمن بين هذه الطرق نذكر الطريقة النقشبندية، إلا أنه و بمرور الوقت طالها العبث و سيطر عليها الجهل فانتشرت بعض الخلافات داخل المجتمع الدمشقي، لكن مع بداية القرن العشرين عرفت هذه الطرق تضاؤلا وهذا راجع لانتشار العلم[7] .

---

[1] جمال الدين القاسمي: أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق بن صالح بن اسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي ، ولد في مدينة دمشق سنة 1866م،تلقى العلوم على يد علماء عصره ، درس العلوم العربية و الشرعية،تقلد ومنصب الإمامة بجامع العنابة، ثم كلف بالتدريس في قضاء وادي العجم و النبك ثم بعلبك على التوالي ،أمضى بقية حياته منكبا علة التدريس و التأليف ، توفي سنة 1914م بدمشق، انظر: عبد العزيز حاجي: محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي مفسرا،التراث العربي، ع112، اتحاد كتاب العرب ، دمشق، 2009، ص 112-119.

[2] عبد الرزاق البيطار: من علماء دمشق الكبار، ولد فيها سنة 1837م، اشتل بالأدب مدة ، وله نظم وقصائد، اقتصر نشاطه في علمي الكتاب و السنة، كان من دعاة الإصلاح من أهم ما ألف " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، توفي في دمشق سنة 1916م، انظر: رغداء محمد أديب زيدان، المرجع السابق، ص 38.

[3] محمد كرد علي: ولد سنة 1876م بدمشق، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة كافل سيباي وهو في سن الخامسة من عمره أنهي تعليمه الثانوي ثم انقطع عن الدراسة ، كان متقن للغة التركية و الفرنسية ، دخل في الصحافة فكتب في جريدة دمشق الشام ، ثم هاجر إلى مصر سنة 1905م، فكتب في الجرائد التالية:المقتطف ، الرائد المصري،المؤيد،وفي سنة 1908م بعد إعلان الدستور عاد إلى دمشق ليصدر مطبعة و أول جريدة يومية سياسية بدمشق "المقتبس"، توفي سنة 1953م، انظر: محمد ناصر النفزاوي: محمد كرد علي المثقف وقضية الولاء السياسي، دار الجنوب للنشر ، تونس،1993، ص 11-21.

[4] حازم زكريا محي الدين، المرجع السابق، ص41-42 .

[5] رفيق العظمة: هو رفيق بن محمود بن خليل العظم، أحد رواد النهضة الفكرية في الأمة العربية، ذو توجه قومي ، أتقن اللغة التركية لاحتكاكه بنخبة من الأتراك المثقفين ، كون مع زملائه جمعية الشورى العثمانية ، من آثاره: أشهر مشاهير الإسلامية السوائح الفكرية في المباني العلمية و الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية، تاريخ السياسة الإسلامية. انظر: عزيز فوال بابتي: موسوعة الأعلام العرب و المسلمين و العالميين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3 ،1971 ، ص 103.

[6] حازم زكريا محي الدين ، المرجع السابق،ص 42.

[7] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 21-32.

بالنسبة للأشراف فقد انتظموا داخل هيئة يرأسها "نقيب الأشراف " يعينه عادة نقيب اسطنبول تمتعت هذه الفئة بامتيازات واسعة[1]، وقد تناوبت العائلات الدمشقية في تولي منصب نقابة الأشراف ففي أواخر القرن التاسع عشر تولى أحد أبناء أسرة آل حصني الدمشقية ـ ياسين حلمي ـ منصب نقابة الأشراف في سنة 1889م ، ثم استعادة آل العجلاني هذا المنصب بين عامي 1893-1998م ثم انتقلت إلى أسرة آل الحسيبي أيضا إذ تولى سنة 1898م أبو السعود منصب نقابة الأشراف في دمشق[2] .

3-فئة نظار الأوقاف: هذه الفئة المشرفة على إدارة الوقف و كثيرا ما كان ناظر الوقف هو الواقف نفسه أو أحد كبار أبنائه من بعده، و بالنسبة لكبار الموظفين في الدولة، فقد اعتادوا أن يعينوا نظار للإشراف على أوقافهم، ومنح هؤلاء النظار حق الإشراف على أعمال المتولين و ترك لهم أمر تعيين خلفائهم من بعدهم[3].

ومن المعروف أن الممتلكات التي توصف بأنها أوقاف وجدت على أنواع، هي كالآتي[4]:

- الأوقاف الخيرية: و هي الممتلكات ذات النفع العام، و هي هبات عامة مثل: المساجد الزوايا ، المكتبات ، المدارس.
- الأوقاف الأهلية أو الذرية: تنشأ مثل هذه الأوقاف للحفاظ على إرث العائلة و يوزع مدخول هذه الأوقاف بحسب وصية الواقف بين ورثة العائلة و أشخاص آخرين.
- الوقف المشترك: هو الذي يبدأ بالوقف الذري و ينتهي بالخيري بحث أن الواقف في حالة انقطاع ذريته و ذرية أقربائه، يعود هذا الوقف لصالح الحرمين الشريفين أو الجامع الأموي فإذا تعذر ذلك فعلى الفقراء و المساكين بدمشق[5].

---

[1] أندريه ريمون: المدن العربي الكبرى في العصر العثماني ، تر: لطيف فرج،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1991، ص 67.

[2] ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، تر : عمر الملاح، دينا الملاح ، مرا: عطاف ماردينى، دار الجمهورية بيتموني و شركاه، دمشق ، 1998، ص 243-246.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 245-246.

[4] ملكة أبيض: اقتصاد دمشق السياسي في القرن التاسع عشر ، مجلة المعرفة ، إصدار وزارة الثقافة ، ع 532، السنة 46، جانفي 2008، الجمهورية العربية السورية ، ص 57.

[5] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق ، ص ص 247-250.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصدرت الدولة العثمانية قوانين هدفت من خلالها تنظيم الأوقاف و إصلاحها، نظرا للفساد الذي لحق بإدارتها، إلا أنها هي الأخرى لم يجر تطبيقها وهذا بسبب عدم كفاءة ونزاهة جهاز الأوقاف لتفشي الفساد فيه [1].

لكنها استطاعت في أواخر هذا القرن من تنظيم أوقاف ألوية ولاية سورية ، فأرسلت لجنة إلى لواء الكرك في سنة 1896م من أجل تنظيم جداول الأوقاف في اللواء، وعلى إثر هذه اللجنة انتظم ديوان أوقاف دمشق بعد إعلان الدستور 1908م، فتناقص النهب و الاختلاس [2].

ب-الطبقة العامة: تعد هذه الطبقة مزيج من السكان الذي يضم كل من التجار والحرفيين و الفلاحين الذين لديهم مشاركة فعلية في السلطة.

1-التجار: يصنف التجار عادة مع الخاصة و الأعيان، و هذا بحكم ثروتهم و هي تنقسم إلى قسمين: كبار مع الخاصة و الأعيان، و تجار صغار مع عامة الناس، فكبار الفئة كانت لهم ميزة عن غيرهم وذلك لاحتكاكهم بالحكام و حمايتهم لهم، و في نفس الوقت لها علاقة مع العامة لتحقيق الربح و الكسب المادي[3] .

و نظرا لمكانة مدينة دمشق، فقد شهدت حركة تجارية نشطة؛ وهذا بسبب الشركات المحلية التجارية التي عملت لمصلحة الشركات الأجنبية، و على إثر هذا تعرض العديد من التجار للإفلاس نتيجة المنافسة القوية للمنتجات الأجنبية المستوردة و التي طغت على أسواق المدينة[4].

2-الحرفيون: أما جماعات الحرف الدمشقية والتي تمثل بنية التجمع الحرفي، فقد انتظمت في وحدات إنتاجية متجانسة[5]. تميزت بالتخصص و توزيع العمل، فهناك طوائف عنيت بالإنتاج و أخرى بالخدمات أو التسويق و هناك بعضها من قام بالعمليتين معا[6].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق ، ص ص 247 -250.

[2] المرجع نفسه ، ص 251.

[3] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 47.

[4] المرجع نفسه ، ص ص 237-239.

[5] ملكة أبيض، المرجع السابق، ص 52.

[6] عبد الكريم رافق: مظاهر التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية، ع1، إشبيلية للنشر و التوزيع، دمشق، مارس 1980، ص 31.

نذكر من بين أهم هذه الطوائف: طائفة الدباغين، طائفة الصباغين، طائفة الغزالين صناعة الدهان العربات، صناعة الصاغة، صناع البغجاتية[1]، و صناع النجارين التي حققت نجاحا كبيرا في دمشق ، فقد تعرضت للمنافسة الأوروبية إلا أنها فاقتها اتقانا[2].

و كان لهؤلاء الحرفيين تدرج في مهنتهم من الأجير إلى شيخ الحرفة، و قد ساعدهم انتظامهم في طوائف حرفية إلى تحقيق مصالحهم في هذه الفترة أواخر العهد العثماني في مدينة دمشق[3].

و لقد تعرض نظام الطوائف في مدينة دمشق أواخر القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين إلى الانهيار، مما أجبر العديد من الحرفيين للتوجه نحو الزراعة أو التجارة و هذا بسبب الضائقة المالية و الإفلاس نتيجة منافسة البضائع الأجنبية للصناعة الحرفي الدمشقية[4].

3- الفلاحون: شكل هؤلاء قاعدة عريضة في الهرم الاجتماعي بحكم المجتمع الزراعي الذي ينتمون إليه، هذا بالإضافة لبعض الحرف و التجارة التي تخدمه، وقد اعتمد معيشتهم على الزراعة و تربية المواشي ، فكان فلاحوا دمشق يعتمدون في زراعتهم على مياه نهرى بردى وبعض الينابيع المتفرقة، كما كان البعض يعتمد على مياه الأمطار، إلا أن هذا كان خارج غوطتها أي في المناطق الجنوبية منها[5].

تركز الفلاحون في دمشق و ضواحيها وأريافها و في المناطق الجبلية المحيطة بها، و سهولها الجبلية، وقامت تجمعاتهم في أغلب الأحيان على أصول قبلية و عشائرية أو أسرية ضمن القرية الواحدة ، أو مجموعة من القرى ، أو على أساس طائفي[6].

لم يحرم الفلاحون من مزاولة الحرف كغيرهم من الحرفيين في دمشق ، إلا أن شيخ حرفتهم كان شيخ القرية، كما كان للبساتنة شيخ يطلق عليه شيخ البساتنة[7].

---

[1] عبد الكريم رافق ،المرجع السابق ، ص31.

[2] عبد الكريم رافق :الاقتصاد الدمشقي في مواجهة الاقتصاد الأوروبي في القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات تاريخية ،ع 17-18، أوت – نوفمبر 1984، إشبيلية للدراسات و النشر و التوزيع ،دمشق ، 1984، ص 144.

[3] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص 47.

[4] المرجع نفسه، ص 51.

[5] يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، 1772-1840 م، دار طلاس، دمشق ج 1، ص 305-306.

[6] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 152.

[7] المرجع نفسه ،ص 152.

تميزت علاقة الفلاحين بالمدينة بالبرودة، فقد كانت علاقة تجارية بحتة، ذات منفعة متبادلة و بالنقد، في حين آخر كانت علاقتهم ببعضهم علاقة تقوم على النقد أو المقايضة، و رغم المصالح المشتركة بين الفلاح و أبناء المدينة، إلا أنه لم يحظ بالاحترام[1].

ج-أهل الذمة:

ويقصد بهم المعاهدون من النصارى و اليهود و غيرهم ممن يقيم في دار الإسلام، و أطلقت عليهم هذه التسمية لدخولهم في عهد المسلمين و أمانهم[2]، و قد تكفلت الدولة العثمانية بمسؤولية حماية أرواحهم وممتلكاتهم، و ذلك في ظل نظام الملل، الذي كان يصنف رعايا الدولة على أساس المذهب الديني وليس على أساس القومية أو اللغة، و كان لكل ملة رئيسها الديني[3]، مسؤول أمام الدولة عن إدارة شؤونها أطلق عليه اسم "ملة باشي"[4] .

وعلى هذا الأساس لم تمنع الإدارة العثمانية في مدينة دمشق و الوالي العثماني أيا من الطوائف و رؤسائهم من القيام بأعمالهم العادية، مثلهم مثل لإخوانهم المسلمين من فتح الأديرة و بناء الكنائس و شراء العقارات و مساعدة المحتاجين من الأيتام، على أن تدفع الضرائب بشكل منتظم و منذ سنة1876م استلم الكثير منهم مناصب مهمة في الإدارة العثمانية في مدينة دمشق كالقضاء و صندوق مال الولاية و غيرها[5].

1-المسيحيون الدمشقيون:

انقسم المسيحيون الدمشقيون إلى عدد من الطوائف بسبب اختلاف نظرة كل طائفة منهم إلى طبيعة السيد المسيح، ومن بين هذه الطوائف التي وجدت في مدينة دمشق نذكر:

---

[1] محمد الخطيب،المرجع السابق ، ص 153.

[2] ماجد صالح المضيان : أثر أهل الذمة الفكري في الدولة في الفترة (1530-1924م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير ،كلية الدعوة و أصول الدين ، قسم العقيدة، فرع الدراسات العليا ، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة، 1995،ص 15.

[3] جوزيف أبو نهرا: المسيحيون و هاجس الحرية في العهد العثماني ، المؤتمر الدولي : خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات ، مركز الشرق المسيحي للبحوث و المنشورات، جامعة القديس يوسف، 24-26 جانفي 2013، ص 4.

[4] محمد الخطيب ، المرجع السابق، ص 168.

[5] المرجع نفسه ، ص 170-171.

-الأرثوذكس الدمشقيون: تنتمي هذه الطائفة إلى الكنيسة الأرثوذكسية، والتي وجد لها بدمشق ثلاث كنائس، أقدمها كنيسة المريمية و الثانية كنيسة مار يوحنا الدمشقي، وقد بنيت بعد حوادث 1860م و الثالثة في حي الميدان[1].

و قد بلغ عددهم في المدينة لسنة 1873م حوالي 700نسمة، و بقي هذا إلى غاية سنة 1896 م إلا أن هذه الطائفة عرفت انشقاق في صفوفها حيث انفصل قسم منها، و شكل طائفة جديدة عرفت باسم الروم الكاثوليك[2].

- طوائف الأرمن: و اعترف بهم من قبل الدولة العثمانية منذ سنة 1453م ، فقد كان مطران الأرمن الأرثوذكس يستقر في أسكودار، وكان بطريكا على جميع المسيحيين بما فيهم الأرمن، إذ كانوا يستقرون في حي خاص بهم في دمشق ، ولهم رؤساء دينيون في أوائل القرن التاسع عشر و يرأسهم في دمشق بطريك يكون من أبناء طائفتهم، و تميزوا عن باقي الطوائف المسيحية الأخرى بأنهم كانوا أكثر تمسكا بدينهم في مدينة دمشق[3].

وجدت بدمشق طائفتين من الأرمن، طائفة الأرمن الأرثوذكس و كانت كنيستهم تدعى "مارسركيس"في دمشق ،أما الأرمن الكاثوليك فقد أنشأت لهم كنيسة صغيرة بعد عام 1860م بالقرب من دير الرهبان اللعازوريين. و قدر عددهم سنة1852م ب640 شخصا، وانخفض عددهم في سنة 1879م بنحو 590 شخصا؛ ويرجع هذا إلى عودة قسم من الأرمن الكاثوليك إلى حلب[4]،و في سنة 1896م تراجع عددهم فبلغ 426شخصا[5].

- طائفة الكاثوليك: ظهرت هذه الطائفة نتيجة الاضطهاد الذي تعرضوا له من طرف الروم الأرثوذكس في بداية الأمر و ذلك بمساعدة الدولة العثمانية[6].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق، ص 302-303.

[2] المرجع نفسه، ص 302-303.

[3] سهام محمد هنداوي : تاريخ دمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، دار مؤسسة رسلان للطباع و النشر و التوزيع ، دمشق، 2012، ص 148.

[4] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 303.

[5] ماكس فون أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج لبنان و سورية، تر: كبيلو ، مرا ، تق: ماجد شبر، دار الوراق للنشر، لندن، 2008، ص 81.

[6] سهام محمد هنداوي ، المرجع السابق. ص147.

وخلال عام1724م انتخب بطريك خاص بهم، واعترفوا برئاسة البابا عليهم[1]، وأشهر كنائسهم بنيت في باب المصلى و القرشي من الميدان و المدرسة البطريكية في حي الميدان[2] ، قدر عددهم لسنة 1876م بنحو 1400 شخص[3]، و ارتفع عددهم سنة 1884م ليصل إلى 15296نسمة[4].

– الموارنة: وهم جماعة من السريان السوريين ، ينتسبون إلى الراهب "مار مارون"من أتباع الكنيسة الشرقية ، ثم اتبعوا الكنيسة الغربية ، مع كل هذا كانوا محافظين عن طقوسهم الشرقية و لغتهم السريانية[5]، و كان لهم في دمشق حي خاص بهم بمحلة باب توما داخل أسوار دمشق ولهم شرع خاص يتقاضون بموجبه أقره لهم جميع من حكموا دمشق من نصارى و غيرهم[6].

كانت لهم أسقفيتان الأولى في بعلبك و الثانية في دمشق ،هذه الأخيرة كان من أساقفتها المطران نعمة الله الدحداح[7] سنة 1879م، و بعد وفاته سلمت أسقفية دمشق سنة 1890م إلى المطران بولس سعد[8] ، و بقي فيها إلى غاية عام 1905م[9].

بلغ تعداد الموارنة في دمشق سنة 1852م (405)أشخاص ثم انخفض عددهم إلى (200)شخص في سنة 1876م ؛ ويرجع هذا لأحداث سنة 1860م[10].

– البروتستانت: كانت بداية نشاطهم في إيالة صيدا قبل إيالة الشام ، فقد استطاعوا سنة 1860م أن يقيموا أول مركز لهم في بلاد الشام ببيروت [11].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق، ص 304.

[2] سهام محمد هنداوي ، المرجع السابق ، ص 174.

[3] وجيه كوثراني : بلاد الشام في مطلع القرن العشرين السكان و الاقتصاد و فلسطين و المشروع الصهيوني قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، ط3، 2013،ص 70.

[4] سمير عبده : الطوائف المسيحية في سوريا نشأتها تطورها تعدادها، منشورات دار حسن ملصد، سوريا ،2003 ، ص 97.

[5] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 305.

[6] سهام محمد هنداوي ، المرجع السابق ، ص 149.

[7] نعمة الله الدحداح: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[8] بولس سعد: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[9] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 305.

[10] المرجع نفسه، ص 305.

[11] المرجع نفسه، ص 305-306.

إلا أنهم عرفوا مواجهة عنيفة من طرف المسلمين و الدولة العثمانية؛ بحكم أنهم أجانب هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت طبيعة تواجدهم في المنطقة تبشيرية، و كذلك الأرثوذكس و الكاثوليك الذين رأوا فيهم تهديدا لهم و لكنائسهم، إلا أنهم تمكنوا من إنشاء إرسالية لهم في دمشق سنة 1843م، وفي ما بين سنتي 1853-1868م بنوا مدرستين فيها[1].

تمكن البروتستانت من بناء أول كنيسة لهم في دمشق سنة 1864م و الثانية سنة 1868م ورغم كل هذا لم يتجاوز عددهم أكثر من 70شخصا في سنة 1852م، و بقي عددهم بالتقريب حتى عام 1879م[2]؛ و يعود هذا لاصطدام المبشرين البروتستانت بعراقيل تعددت وجهاتها منها المسلمون و الكنائس المحلية و الهيئات المسيحية وكذا الحكام الذين رأوا فيهم أداة تغلغل أجنبي يستهدف إزالة السيطرة العثمانية[3]، و في سنة 1896م ارتفع عددهم إلى 90شخصا[4].

2-اليهود: وجد بدمشق طائفتين لليهود هما[5]:

- اليهود القرائين .
- اليهود الربانيين.

و يرجع توافد هجرات اليهود إلى دمشق، إلى مهاجري يهود جزيرة ايبريا (الأندلس) الذين طردوا منها ، ومن ثم انتشروا في البلاد العربية ،فاستقر بعضهم في دمشق[6]، و تركز معظمهم في محلة الخراب في حارة اليهود، و تركز قسم آخر منهم في منطقة جوبر، هذه الأخيرة كان لهم فيها كنيس أثري ، كذلك في غوطة دمشق لاشتغالهم بتجارة الأراضي و الربا[7].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق ، ص 305-306.

[2] سهام محمد هنداوي ، المرجع السابق، ص 150.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 307.

[4] ماكس فون أوبنهايم، المرجع السابق، ص 81.

[5] أكرم العلبي : يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق 1583-1909م، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق 2011، ص 11.

[6] جميل يوسف نعيسة : يهود دمشق ، دار المعرفة ، دمشق ، 1988، ص 8.عبد الله حنا: حركات العامة الدمشقية ، دار ابن خلدون ، بيروت، 1985، ص 26.

[7] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 70.

وبلغ عددهم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أي سنة 1876م نحو 500 شخص[1]، وارتفع عددهم سنة 1896م ليصل إلى 680 شخص[2].

تركز نشاط اليهود في التجارة و الصرافة و النقد و الربا، إذ كان أثرياؤهم يشترون السندات المالية من حامليها بثمن بخس و يحتفظون بها من أجل استغلالها في الظروف المناسبة.هذا بالإضافة إلى كميات النقد الكبيرة التي كانت في حوزتهم في عهد كان فيه النقد السائل قليلا شكلت مصدر قوتهم[3].

كذلك توجه اليهود الصيارفة إلى الريف الدمشقي على إثر الضائقة المالية التي شهدها لاستغلال الوضع فقاموا بإقراض المال للفلاحين لزراعة أراضيهم ، ورد الدين في الموسم المقبل و في حالة عدم المقدرة على تسديد كان اليهودي يلجأ إلى حجز الارض و يمتلكها[4].

3-**المستأمنون و المتفرنجون من أهل دمشق :** المستأمنون هم التجار الأجانب من غير المسلمين الذين سمح لهم بالإقامة في الدولة العثمانية واعترفت بهم كطوائف أو ملل مستقلة تطبق شرائعها الخاصة[5].

ازداد عددهم في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين نتيجة التسهيلات التي تحصلوا عليها في إطار الامتيازات التي قدمتها السلطة العثمانية لأوربا، حيث شكلت في تلك الفترة خطرا يهدد سلامة السلطة و رعاياها[6]. فتنبهت إلى وجودهم و كثرتهم، فأخذت تنبه إلى ضرورة جمع الجزية منهم وترسل إليهم الفارمانات بخصوص ذلك،و يظهر في "**أمر سلطاني باستيفاء الجزية المفروضة على أهل الذمة من طرف اليهود و النصارى و الأعاجم والقاطنين منهم وقد مثلت هذه الجاليات مختلف الدول الأوروبية**[7]."

---

[1] وجيه كوثراني ، المرجع السابق ،ص 70.

[2] ماكس فون أوبنهايم، المرجع السابق، ص 81.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 307.

[4] ماري ذكران سركو، المرجع السابق، ص 72-73.

[5] عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق، ص 320.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 81.

[7] المرجع نفسه ، ص82.

انضوت تحت هذه الجاليات الأوروبية، في مدينة دمشق الكثير من اليهود والنصارى الدمشقيين تحت حمايتها، فأصبحوا من رعايا دولها؛ وهذا بعد حصولهم على "البراءة السلطانية" من طرف الدولة العثمانية ثم انضم فيما بعد المسلمون ، من بين هؤلاء الأسماء نذكر " رزق الله عرفتجي من حمايا دولة فرنسا بالشام ، عطية و صقال من محلة اليهود من تبعة دولة فرنسا و سعيد قاسم المغربي من تبعة فرنسا بالشام [1].

فقد تمتع هؤلاء بالحماية الأوروبية، و استطاع الكثير منهم امتلاك جواز سفر أوروبي، مما وفر لهم حق التمتع بالعديد من المزايا، مثل الإعفاء الضريبي، التجنيد الإلزامي، و الرسوم الجمركية المنخفضة، و تمثيلهم في البعثات الدبلوماسية أمام السلطات العثمانية، شأنهم في ذلك شأن الأوروبيين. هذا على غرار المزايا التي يتفوقون فيها على الأجانب كاللغة العربية و صلاتهم المحلية و الخبرة، فهم غالبا ما حققوا نجاحات كبيرة في التجارة و المال[2].

كما كان للحمايات الدور البارز في تراكم الديون على خزينة ولاية دمشق، و بعد ذلك يقومون بإعادة الإقراض بفائدة محلية مرتفعة، فكثير من الفلاحين تعرضوا للاستغلال، بسبب أنهم كانوا أميين على عكس الحمايات[3].

ولقد كون هؤلاء الفئة البرجوازية في المجتمع الدمشقي، و التي اختلفت في طريقة تفكيرها و كذا نمط عيشها كثيرا عن مسيحيي القرى و المدن، فقد كانت أكثر ميالا لتقليد أوربا و الجاليات التي تعمل معها في كل مظاهر حياتها[4].

في حين عاش المستأمنون في عزلة عن المجتمع الدمشقي، و مع مرور الزمن حاولت الانخراط في مجتمع المسيحيين و اليهود من دمشق، إذ أنهم كانوا بحاجة لمن يستندون إليهم أمام السلطة العثمانية ، و بالإضافة إلى الامتيازات التي حصلوا عليها[5] .

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق، 82.

[2] لنيدا شيلشر، المرجع السابق، ص 105.

[3] المرجع نفسه ، ص 105،106.

[4] المرجع نفسه، ص 85.

[5] ماري دكران سركو ، المرجع السابق، ص 84.

د- باقي عناصر السكان:

1- فئة البدو: شكل البدو فئة اجتماعية متميزة، وهذا راجع لطبيعة معيشتهم التي تتصف بالترحال مما بجعلهم بعيدين عن سلطة الحكام ، كما كانت لهم تنظيماتهم الاجتماعية الخاصة هذا بالإضافة إلى تمتعهم بقسط كبير من الحرية إذ ما قورنوا بفئات اجتماعية أخرى[1].

مارس البدو تربية المواشي والحيوانات، و استقروا في البادية على أطراف المناطق الزراعية المجاورة لمدينة دمشق، وفي وقت لاحق استصلحت الأراضي الزراعية من طرف الدولة في محاولة منها توطين البدو و تحويلهم إلى مجال الزراعة و تربية الحيوانات[2] .

كما كان استحداث و سائل نقل حديثة أثر بالغ على حياة البدو من الناحية الاقتصادية ، فقد كان افتتاح قناة السويس أثر في انتقال قوافل التجارة والحج إلى طريق البحر ، فنتج هذا نقص في عدد القوافل المارة للبادية الشامية ، بعد ما كان للبدو الدور الأساسي في تمويل هذه القوافل بالخيل و الجمال و غيرها[3]، و في نهاية القرن التاسع عشر قضت السكك الحديدية على ما تبقى من حركة النقل التي التزامها البدو[4].

في هذه الفترة وطد الكثير من التراجمة و القناصل الذين عملوا في القنصليات الأجنبية علاقتهم بالبدو و احتموا بهم؛ هذا الأمر أعطى لهم دعما هاما، حيث قوى مراكز شيوخهم و زعماء عشائرهم فانعكس هذا الأمر على انتعاش تجارتهم وزاد تسلطهم على المزارعين المجاورين لهم خاصة الفلاحين الذين أجبروا على دفع إتاوة مقابل الحماية الشكلية لهم، و فيما بعد تحول إلى استغلال مباشر بداية القرن العشرين، إذ تحول زعماء البدو إلى ملاك أراضي[5].

2 -الفئة الرثة (المهمشون): وهي تمثل الفئة الفقيرة من المجتمع و التي تتكون من اللصوص و المجرمين و المتسكعين في أزقة المدن و كذلك الغرباء و العاطلين عن العمل و الزط[6] .

---

[1] جميل يوسف نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج 2، ص 324.

[2] ماري دكران سركو ، المرجع السابق ، ص 59.

[3] مازن البودي : أثر البدو و قطاع الطرق على التجارة في بلاد الشام (1800-1918م)، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات التاريخية العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، مج37.ع1، 2015 ، ص 18.

[4] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 59.

[5] مازن البودي، المرجع السابق ، ص 18.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق ،ص 105.

بالإضافة إلى الخدم و العبيد الذين يزاولون أعمالهم لدى الأغنياء في بيوتهم و مزارعهم[1]. إلا أنهم عاثوا فسادا في المدينة، حيث انتشرت أعمال السلب في الحارات، و السرقة في الأسواق[2] وهذا بسبب سوء حالة قوات الأمن سواء كان من حيث التسليح، أم من حيث المرتبات التي كانت تتأخر الدولة في دفعها ، إذ قلل هذان السببان من فاعلية قوى الأمن[3]، و من بين الأحداث التي وقعت هي سرقة خاتم ألماس مع ساعة ذهب في وضح النهار و بعد مدة عاد هذا السارق إلى سوق الصاغة للسرقة مرة أخرى فتم القبض عليه[4].

كذلك عرف الأغنياء اقتناؤهم للخدم و حتى أنهم استولدوا منهم الأولاد، و اعترفوا بأبوتهم و بلغ بهم الحد إلى تربية اللقطاء و الأيتام[5].

إلا أنه تحسنت حالة الأمن نسبيا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فاختفت أعمال النهب عن ذي قبل؛ و هذا نتيجة الأحكام الصارمة التي أنزلتها الدولة بهم[6].

2-مظاهر الحياة العامة في دمشق:

أ-الاحتفالات العائلية:

اختلفت الاحتفالات العائلية في المجتمع الدمشقي باختلاف الفئات الاجتماعية، فكان لكل فئة معينة تقاليد خاصة في الاحتفال ، تميزها عن غيرها من الفئات ،ومن بين هذه الاحتفالات: الزواج.

- **الزواج عند المسلمين:** عرف عن أهل دمشق أنه إذا أراد أحد من الشباب الزواج ، كان يفتتح الأمر مع والده بغية تزويجه، ثم يأتي دور والدته حيث تجتمع ببعض النسوة المسنات فيذهبن و يفتشن له على عروس[7] .

---

[1] ماري ذكران سركو، المرجع السابق ، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 105.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق ، ص 301.

[4] ماري دكران سركو ، المرجع السابق ، ص 107.

[5] المرجع نفسه ، ص 107-108.

[6] عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق ، ص 301.

[7] نعمان القساطلي ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار رائد العربي ، بيروت، 1879، ص 127.

و عندما يجدن ما يناسبه يأتينه و يخبرنه فيقوم بإرسال بعض الرجال من عائلته لخطبتها له من أهلها، و وعندما يقر القرار بين الخاطبين ، يعقد القران في بيت أهلها[1].

و يدعى في حفلة العقد كل من الأهل و الأصدقاء من قبل الطرفين، و يوكل كل من الخاطبين أحد الأقارب من الأهل ويرسله مع شاهديه إلى دار الفتاة. حينها يباشر شيخ المحلة أو أحد الأساتذة في العقد الشرعي ، ويدعو للخطيبين بالسعادة و البنين، و يقدم لمن حضر المرطبات و الحلويات، و يهنئ الحضور أهل العريسين و ينصرفون[2].

و تنتهي حفلة العقد بدفع المهر المقرر، هذا الأخير يقسم إلى قسمين مقدم ومؤجل؛فالمقدم يدفع عاجلا؛ أما المؤجل يبقى في ذمة الزوج إلى وقت الحاجة كوفاة أو طلاق[3].

بعد تحديد قيمة المهر، يتم إرساله إلى والدي العروس أو وليها ثم يحدد موعد العرس، ثم يبدأ أهل العروس باستحضار الجهاز ؛ فغالبا ما يكون أثاث لبيت زوجها و ملابس خصوصية لها ويتم نقله قبل الزفاف بيومين ، على ظهور الحمالة[4].

ويوم الزفاف تذهب النسوة من بيت العريس و يحضر العروس برفقة النساء من عائلتها نهارا أما مساءا فتقوم الأفراح في بيت العريس، هذا الأخير يصطحبه خلانه إلى بيت آخر و يلبسونه لباس العرس، وفي وقت العشاء يأتون به في جو احتفالي بهيج[5]. يأتي فيه أيضا المجري مرتدي جبة حمراء اللون مزركشة و عمامة مطرزة و يحمل بيده عصا يتوكأ عليها و يحمله بيمينه (مجمرة) فيها جمرات من الفحم المتقد بها أنواع العود و البخور ، و هو يردد بصوت عال [6]:

سعيد من يصلي على النبي القلب العامر يصلي على النبي

---

[1] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 127.

[2] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص 81.80.

[3] محمد كرد علي، خطط الشام ، المطبعة الحديثة، دمشق، ج6 ، 1925، ص 385.

[4] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص81.

[5] نعمان القساطلي، المصدر السابق،ص 128.

[6] خليل االعظم و آخرون: قاموس الصناعات الشامية، تح و تق: ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق،ج2 (د.ت)،ص417ـ418.

ويكون في مقدمة موكب العرس المؤلف من الأقرباء و الأصدقاء بالإضافة إلى المرفعجية فيطبلون،و يكونون جموع يطلق عليها عند أهل دمشق "عراضة"، حاملين السلاح[1]، يستمر هذا إلى غاية الوصول لبيت العريس فتسمع أهازيج الرجال في الخارج مع مع زغاريد النساء في البيت[2].

و في ليلة الزفاف تحضر الماشطة للعروس؛ و سميت بذلك لأنها هي من تقوم بتسريح شعر العروس و تلبسها ثيابها ، وتزينها بمختلف أصناف الحلي [3]، و تقوم أيضا باستقبال العريس حيث تصطحبه إلى الغرفة المجهزة له أين تكون العروس بانتظاره، و في صباح ليلة العرس يقدم العريس هدية بحسب مقدرته تسمى "الصجة" إلى عروسه ، و بعدها يقصد السوق مالئا جيبه ملبسا يهديه لمن يبارك له [4] .

– **أعراس الريف:** اعتاد أهل قرى غوطة دمشق استحضار النَوَر المتقنين للضرب على الطبل لإحياء حفلات الأعراس و التي تكون في فترات متتالية من الطرب ، خاصة إذا رافق الطبال الزمار[5] و يحضر الأولاد أيضا للعب بالسيف و الترس، و تدوم أوقات الطرب ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع يزفون العروس إلى بيت عريسها[6].

و قبل ذلك يتم تدوير العروس حول القرى، و يمنح المشاركون الشموع من قبل أهل العريس فيحملونها مشعلة بما فيهم النساء المشاركات ،و عند زف العروس تحمل كل واحدة منهن شمعة مشعلة، وتكون أمام العروس إحدى قريباتها حاملة معها شمعة كبيرة،و عموما كانت تقاليد الاحتفال بالعرس واحد بين قرى دمشق[7].

---

[1] خليل االعظم و آخرون : المصدر السابق، ص417ـ418.

[3] يوسف جميل نعيسة، المرجع السابق، مجتمع مدينة دمشق، ج 2، ص 296.

[3] خليل العظم وآخرون، المصدر السابق،ج2، ص 408.409.

[4] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 127.

[5] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج 2 ، ص 700.701.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 132.

[7] المرجع نفسه، ص 132.جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج2، ص 701.

– **أعراس البدو:** كان البدوي يتزوج ما بين سن 15-25 و غالبا ما يتأخر غلى سن الثلاثين و لحفظ النسب لا يتزوج البدوي أو البدوية إلا مما توازيه أو يوازيها؛ أي الكبير بالكبير و الصغير بالصغير[1].

و بالنسبة للفتاة كانت تتزوج في سن مبكرة؛ وهذا يعود إلى طبيعة إقليم البادية و أسلوب العيش الذي يعجل في نضج الفتاة مبكرا،بالإضافة أن فتاة البادية لا تستشار في اختيار شريك حياتها إلا عند عقد قرانها[2].فيزوجها والديها ممن يرونه مناسبا لها، و يقيم زواجها بحسب القاعدة الشرعية، فتتم خطبة الفتاة بعد موافقة والديها،و عند قبولها يأتي العريس مع جماعة من ذوي الوجاهة إلى أهل العروس و معهم ما يلزم من الطعام و الذبائح و البرغل و الطحين و السمن القهوة ، وتبدأ المراسم بذبح الذبائح و إيلام الولائم و يقدم الخطيب لخطيبته كوفية حريرية معقودة على نقود ذهبية كعنوان للرضا و القبول[3].

و فيما يتعلق بمراسم العرس البدوي ، فتتم الاستعدادات قبل بداية الاحتفالات ، و غالبا ما يكون الاحتفال يوم الأحد ، حيث يجتمع الرجال كل مساء، و النساء معا يوم الثلاثاء، ثم ينتظمون في قافلة ؛ فالبعض يركبون الخيول، و بعضهم يسير على الأقدام و بعض النساء على الهوادج، قاصدين أهل العروس[4].

حين وصول القافلة يقوم أهل العروس بإكرام ضيوفهم، و تتصرف النسوة لتجهيز العروس و في صباح اليوم التالي تصطحب العروس مع أمها إلى مضارب خيام العريس ، أين يكون العريس قد أعد نفسه، و تكون هناك خيمة مجهزة للعروسين تسمى" البرزة "[5]. و في اليوم الثاني يقدم العريس لعروسه نقودا، و ثم يأتي دور الأصدقاء في تقديم التهاني و الهدايا للعروسين، و بعد أسبوع تزور العروس أهلها و معها بعض الهدايا و ترجع من عندهم بمثلها[6].

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 133.

[2] جميل يوسف نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج 2، ص702.

[3] المرجع نفسه ، ص 703.

[4] ماري دكران سركو ، المرجع السابق، ص 134.

[5] المرجع نفسه، ص 134.

[6] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج2، ص 703.

– **الزواج عند المسيحيين:** كانت نساء المسيحيين محجوبات عن أعين الرجال[1]، وعلى هذا الأساس كان اختيار العروس كاختيار المسلمين لها، فكانت عادة مضرة بالنسبة للمسيحيين الذين لا طلاق عندهم ، و ذلك خوفا من التحايل بين الأخوات فتزوج أخرى بدل التي رأتها النسوة و بمرور الوقت تغيرت الأحوال فأصبح باستطاعة الخطيب أن يرى العروس التي تناسبه و تكون باختيار الطرفين[2].

بالنسبة لهدية الخطبة، لم تكن مربوطة بشرط أو عادة، فكان منهم من يعطون الخطيب ومنهم من يأخذ منه، أما عن مدة العرس في السابق كانت تدوم سبعة أيام، ثم أبطلوا هذه العادة فجعلت ثلاث أيام، ثم اختصت على ليلة واحدة[3].

كان يشترط أن يقام العرس أيام الآحاد، فيدعى الأهل و الخلان نساءا و رجالا، يجلبون معهم آلات الطرب و يقصدون منزل العروس للمجيء بها، يتقدمهم وكيل الزوج، الذي يقوم بتوزيع الشموع على الحاضرين،الذين يلتفون حول العروس، ثم يذهبون بها إلى دار العريس وهم ينشدون الأناشيد[4].

عند دخولهم دار العريس، تنعزل النساء في غرفة على حدة، بينما يقيم القس صلاة الإكليل ثم تلتف النساء بالعروس و يجلينها بالرقص والغناء و الشموع[5]، ثم يرافقنها إلى الغرفة المعدة للعروسين و في صباح اليوم الثاني ، يقدم العريس هدية إلى عروسه ،حسب مقدرته، و في أول يوم عطلة بعد العرس يجتمع الرجال من أهل العروس فيأتون دار العريس ، وفي مساء أول يوم عطلة يلي هذه الزيارة يصطحب العريس عروسه لبيت أهلها[6].

– **الزواج عند اليهود:** كانت تقاليد اليهود في أعراسهم مزيجا من عادات المسلمين و المسيحيين حيث كان الزواج لديهم يتم في سن مبكرة كالمسلمين، و أحيانا في سن أصغر[7].

---

[1] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص 82.

[2] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص134.

[3] عبد العزيز العظمة، الصدر السابق، ص 82.

[4] المصدر السابق، ص 82.

[5] المصدر نفسه ، ص 84.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 135.

[7] جميل يوسف نعيسة، يهود دمشق، المرجع السابق ، ص 35.

فكانت الفتاة تخطب إلى أهلها وهي صغيرة، أو تخطب قبل زواجها بأشهر قليلة، باعتبار أن زواجهم يكون بين أبناء دينهم و بالأخص بين الأقرباء[1].

و أمر الذي تميز به اليهود عن غيرهم ، هو سؤال الخاطب عن الفتاة و ما لديها من مال؛ أي قيمة المال الذي سيمنح لها من طرف أهلها، وعندما تتم الخطبة يكتب عهد بين الخطيبين يسمى "**شيطارا**" يسجل فيه مقدار المهر المدفوع من الطرفين، مع ذكر الشروط التي اتفق عليها الطرفان[2].

و في اليوم المحدد تنعقد جمعية يسمونها"**كتبه**"بواسطتها يتم تسلم الزوج الأمتعة و النقود التي تعهد ت الخطيبة بتقديمها إليه، وبعد ثلاثة أيام تكون حفلة الزفاف المعروفة لديهم باسم "**قدوس**"[3].

ب-الأعياد الدينية:

تعددت أعياد دمشق بتعدد طوائفها ، و كان لكل طائفة فيها عاداتها و تقاليدها و طقوسها الخاصة بها، تمارسها بحسب العيد و أهميته الدينية و الاجتماعية، و في هدا الصدد سنعرض صورة بسيطة لهذه الأعياد و طقوسها و مظاهرها الاجتماعية، حسب أهمية الشرائح الاجتماعية في تلك المرحلة و أهمية تلك الأعياد بالنسبة لها من جهة أخرى[4].

أ-أعياد المسلمين: يحتفل المسلمون بعيدين رئيسيين اثنين هما: عيد الفطر و عيد الأضحى الأول في شوال و مدته ثلاثة أيام و الثاني يوم 10 ذي الحجة بعد وقفة عرفات ، و هو أربعة أيام و تكون وقفته في يوم عرفات ، وفي كلا العيدين يصنع أهل دمشق أصنافا من الحلوى المشهورة على عادات هم مثل المعمول بالجوز و الفستق والعجوة[5] .

و يضحى بالخراف يوم عيد الأضحى و توزع على الفقراء بعد صلاة العيد[6].

---

[1] جميل يوسف نعيسة، يهود دمشق، المرجع السابق ، ص 35.

[2] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، المرجع السابق ،ج2،ص 702.

[3] جميل يوسف نعيسة، يهود دمشق، المرجع السابق، ص 35.

[4] يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، المرجع السابق، ج 02 ، ص 651.

[5] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 201.

[6] محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 201.

و هي واجبة على كل من ملك النصاب من المسلمين المسلمات[1].

و يقصد بائعي غصون(الآس) المدينة و ينتشرون في الشوارع، ليشتريها الناس و يحملونها إلى قبور الأعزاء، صباح أول يوم العيد قبل طلوع الشمس، وتوزع الصدقات قبل الذهاب للصلاة .ثم يزور الناس الأئمة و الخطباء و الوجهاء، وكانت عبارات التحية عندهم (عيد مبارك) وردها (علينا وعليكم) أو (أيامكم سعيدة) وردها (أيامكم أسعد)[2].

عرف عن المسيحيين مشاركتهم لإخوانهم المسلمين في المدينة التهنئة بالعيد، حيث كتب فارس الخوري[3] إلى محمد كرد علي في سنة 1904م، يقول: "وأخذت أطوف من بيت مهنئا أركان الولاية ووجهاء المدينة بعيد الفطر"[4].

ولم يكن ثمة عيد عام يحتفل به الجميع في يوم واحد، إلا عيد الجلوس السلطاني، للسلطان عبد الحميد الثاني، ففي ذلك اليوم يحتفل المسلمون و النصارى واليهود، و يزينون البلد بالمصابيح و القناديل[5].

و أولت الإدارة العثمانية أهمية كبيرة للاحتفالات كشهر رمضان، حيث يجتمع الناس و القضاة و العلماء و الوجهاء في المحكمة خلال الساعات التي يتوقع أثنائها ظهور هلال رمضان فإذا ما ثبت ظهوره توقد القناديل في أسواق و مآذن المدينة و خاصة الجامع الأموي و تضرب المدافع لإثباته حتى منتصف الليل، و نفس الشيء يفعل في الإعلان عن العيد[6] .

---

[1] عبد العزيز العظمة : مرآة الشام تاريخ الشام وأهلها ، تح: نجدة فتحي صفوة، رياش الريس، لندن،1987،ص 87.

[2] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 161.

[3] فارس الخوري: ولد في جانفي 1873م، في قرية الكفير بمنطقة حاصبيا، تلقى تعليمه في مدرسة المراسلون الأمريكان ، سنة 1892م عيين كمعلم بمدرسة في قرية مجدل شمس ، ثم انتقل إلى صيدا ،حاز على البكالوريوس سنة 1897م، امتهن المحاماة، ثم اتقن اللغتين الفرنسية و التركية دون معلم ،تقلد مناصب عدة في سنة 1914م فاز بنيابة دمشق في مجلس المبعوثان، 1919م عضوا بمجلس الشورى ،1947م ترأس مجلس الأمن ، 1954م كيف بتشكيل وزارة رابعة، انظر: محمد عنجريني : فارس الخوري الوطنية ـ العروبة ـ الإسلام ، دار عمار ، الأردن ، 2014، ص 17-20.

[4] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 161.

[5] المرجع نفسه، ص 161.

[6] يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج2، ص653.

و في أول أيام العيد، تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي الكبير، و تقدم التحية للوالي و القائد العسكري في المدينة، ثم تبدأ مراسيم إخراج الشموع و الزيوت المعدة لإرسالها مع قافلة الحج[1].

و قد تختلف مراسم عيد الأضحى عن مراسم عيد الفطر، فقط في تقديم الأضاحي و توزيعها بعد صلاة العيد . ومن عادات العيد أيضا ،أن يصعد الناس في مدينة مشق إلى حي الصالحية و قاسيون بعد عصر يوم الوقفة، و يلبوا كما يلي الحجاج على جبل عرفات ، إذ أن الصالحية تعد سكن الصالحين و أضرحة الأولياء، و ذوي المقامات و المزارات التي كانت تحظى بمكانة خاصة لدى الناس و بالإضافة على العيدين عند عامة المسلمين ، هناك الاحتفال بيوم عاشوراء و إيفاء النذور[2].

و من المواسم المهمة لدى المسلمين المولد النبوي في (12 ربيع الأول)، حيث كان يعين كل ليلة لقراءة المولد، و تقام مختلف الألعاب و توزع الحلوى، و تحتفل الحكومة بالمولد نهارا في المسجد الأموي و تدعو دائرة الأوقاف كبار الموظفين و وجهاء الأحياء، و يوزع الملبس و في ليلة المعراج و (ليلة 27 رجب) تتلى في المساجد و بعض الدور قصة المعراج، فيسمعها الناس خاشعين، و في النهار يصنعون حلوى تسمى العقيدة ، من السكر و الدبس و المغلي و الملون[3].

أما في نصف شعبان أو ما يسمى شعبان ليلة التجلي الأعظم، فقد كان لهذه المناسبة دعاء خاص اعتاد الناس تلاوته، و في النهار يصنعون الغريبة[4].

---

[1] ماري دكران سركو،المرجع السابق،ص 162.

[2] المرجع نفسه ، ص 162. يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، المرجع السابق،ج2، ص 657.

[3] المرجع نفسه، ص163.

[4] المرجع نفسه، ، ص 163.

و يحيي الناس ليلة القدر إلى وقت السحور، بعد أن يشاهدوا حفلات الذكر عند مختلف الطرق خاصة المولوية منها في المساجد و أهمها المسجد الأموي ، وتشترك النساء بالصلاة في مكان أعد لهن وراء ستا، و من مراسم شهر محرم في اليوم الأول منه(رأس السنة الهجرية) يتبادل الناس التهاني و يقدموا المأكل و الملابس لذويهم [1].

و في هذا الشهر أيضا ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام فيجتمع فيه المسلمون و الشيعة، في أماكن واسعة، بغية سماع تفاصيل الفاجعة و يبدأ البكاء و الحزن، و تقرأ آيات من القران في هذه مناسبة[2].

ب-أعياد النصارى الدمشقيين: يحتفل النصارى من أهل دمشق بأعيادهم الدينية الخاصة و التي تصاحبها تقاليد خاصة بالاحتفال و التي كانت على نطاق الحارات التي يقطنونها وضمن أديرتهم و كنائسهم[3].

لكثرة أعيادهم لم يكن يمر أسبوع من دون مناسبة دينية أو عيد أو ذكرى الأسرار المقدسة حيث كان يقدم فيه صاحب العيد الشموع للكنيسة و حسنة للكاهن، وكمية من الخبز المصنوع لهده المناسبة و تميزه علامة الصليب على الشكل الآتي[4]:

و يرسل إلى بعض المنازل في الحي، و على صاحب العيد أن يستقبل الناس بالتهنئة، ويقوم بدعوة الكاهن إلى الغداء أو العشاء مع الأقرباء و الأصدقاء[5].

و لدى المسيحيين الدمشقيين صيام لمدة سبعة أسابيع يسمى (الصوم الأكبر)عن البياض (والذي يقصد به الصيام عن تناول المواد الحيوانية) يقضي هذه الأيام في الصلاة و العبادة[6].

---

[1] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص202.

[2] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص202.

[3] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، المرجع السابق ،ج2، ص 279-281 .

[4] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 164.

[5] المرجع نفسه، ص 164.

[6] المرجع نفسه، ص 164.

و هناك صوم آخر يدعى صوم عيد الفصح الكبير و هو الصوم عن الجوارح و مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، بالإضافة للصوم عن الطعام الحيواني، و في الأحد الثالث من الصوم يتزين الأطفال و يقصدون الكنيسة حاملين معهم أغصان الزيتون و الشموع، فيدورون مع الكاهن و هم يرددون عبارات دينية، و يدعى هذا الأحد بـ: أحد الزهور[1].

ثم الأحد السادس يقومون بنفس الشيء ، ويدعى أحد الشعابين، إذ يتناولون طعام به مواد حيوانية و البيض المسلوق الملون،و يتبادلون التهاني و الزيارات[2].

تكون هذه الأعياد و المواسم عند كل الطوائف المسيحية متشابهة، لأن الاعتقاد بالدين والعقيدة واحد[3].

ج –أعياد اليهود الدمشقيين: أما الفئة الثانية من أهل الذمة فكانت طائفة اليهود، هم كذلك كانت لهم أعياد يحتفلون بها على طريقتهم الخاصة ، ومن بين هذه الأعياد نذكر:

– عيد يوم السبت: و هو يوم عطلة أسبوعية تحرم خلاله ممارسة كل الأعمال سواء الخاصة أو الرسمية[4]، و هذا بسبب الاعتقاد أنه يوم استراحة الرب، بعد خلق الكون في ستة أيام، لدرجة أنه لا يحق لأحد هم أن يشعل النار فيه، و في هذا اليوم يراقب اليهود بعضهم بعض في التمسك بالسبت و يلبسون فيه لباسا خاصا و يقرؤون التوراة بأصوات مرتفعة، و يقدس اليهود القراؤون يوم السبت أكثر من اليهود الربانيين، فحتى الطبخ فيمتنعون عنه في ذلك اليوم[5].

– عيد رأس السنة : أو رأس هاشا ، وهو بمثابة عيد الأضحى عندهم، و يحل موعده في أول تشري أحد شهور اليهود ما يوافق 21سبتمبر[6]،

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص 165.

[2] المرجع نفسه ، ص 165.

[3] المرجع نفسه، ص 165.

[4] كاميليا أبو جبل : يهود اليمن ، دار النمير ، سورية ،1999، ص 119.

[5] ماري دكران سركو، المرجع السابق،ص 166.

[6] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق،ج2، ص 682.

و مدته يومان، يقضونهما في البيوت و لا يقدمون المعايدة لأحد، و في هذا العيد يأكلون اليقطين تيمنا بحلاوته ليكون العام الجديد حلوا مثل و يأكلون الرمان لتكون السنة مليئة بالخير كحب الرمان [1].

-عيد الغفران: أو يوم الكفارة أو عبد الغفران الكبير لديهم، و هو الصوم الكبير، تختلف مدته فعند الربانيين تدوم خمسا وعشرين ساعة، تبدأ قبل غروب شمس التاسع من سبتمبر و تنتهي بعد مضي ساعة من غروبها في اليوم الثاني[2].

بالإضافة أنهم لا يقومون بإشعال النار فيه، و يصلي الرجال أثناءه، أما النساء فيبقين في المنازل[3].

-**عيد الظلل أو عيد المظلة:** ويكون في 15 أكتوبر، و لمدة تسعة أيام، و يحتفلون بهذا العيد نسبة للتيه في سيناء، ويخصص آخر يومين فيه للمعايدة و التاسع يوم للصلاة[4].

-**عيد حونكا:** و يكون في 26 ديسمبر و ينتهي في 15 جانفي، يقوم اليهود خلالها بإشعال النار لمدة تسعة أيام، و إشعال الشموع كل يوم[5].

-**عيد الشجرة:** يصادف 15 فيفري، يتبادل الناس في الهدايا، و خلال العشاء تجمع الفواكه و يبارك عليها (الطازجة و المجففة)[6].

-**عيد البوريم:** أو عيد الفوز، وهو من الأعياد المستحدثة[7]، وهو يصادف 15 مارس، و يدوم يومين ، و هو حكاية سفر استر الذي دونه اليهود في التوارة . نتيجة استخدام نسائهم في تغيير مواقف الرجال بالحيلة و الخداع[8].

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 166.

[2] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج2، ص 682.

[3] ماري دكران سركو ، المرجع السابق، ص 166.

[4] كاميليا أبو جبل، المرجع السابق، ص 120 -121 .

[5] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص166 .

[6] المرجع نفسه ، ص 167.

[7] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق ، ج2، ص 683.

[8] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 166.

-**عيد الفصيح:** يصادف التاسع من جوان ذكرى نفي اليهود إلى بابل على يد نبوخذ نصر عام (586ق.م)، و في اليوم نفسه اقتحم الروماني توتيوس الهيكل الثاني و دمره، و شرد اليهود من جديد و ذلك عام 70م ، لذلك يعلنون الحداد و الصوم[1].

-**عيد شفعوت:** و يسمى (إعطاء التوراة) و يكون في شهر جوان و يأكلون فيه أطعمة ذات لون أبيض مثل الحليب و غيرها[2].

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 167.

[2] كاميليا أبو جبل، المرجع السابق، ص 122.

3.احتفالات قافلة الحج:

حرصت الدولة العثمانية على إعداد شؤون قوافل الحج بأنفسهم، لذا أولوها اهتماما خاصا لأسباب دينية وسياسية، حيث كان واجبهم الشرعي تنظيم الحج إلى الحجاز و الإشراف عليه[1] ومن بين أهم قوافل الحج نذكر قافلة الحج الشامي، حيث أولتها الإدارة العثمانية اهتماما بالغا فأخذت على عاتقها تأمين طريق قافلة الحج من هجمات البدو، و تأمين المؤن و كافة المستلزمات لوصول القافلة على بيت الله الحرام في الوقت المحدد لها، و هذه الأعمال أوكلتها إلى أمير الحج[2].

ويعد الطريق الممتد من الشام إلى المدينة المنورة، فمكة المكرمة، الأكثر سلوكا على غرار الطرق الأخرى المؤدية إلى الحجاز، و هذا لكونه أقصر الطرق[3]، فقد كان طريق القافلة العظمى للعالم الإسلامي في عهد العثمانيين ،حيث كان ينضم إليه كل من العراقيين والإيرانيين و أهل القوقاز و مسلمو اسطنبول و أوربا، لأمانه و تسهيلاته[4]، و الشيء المميز أنه كانت هناك احتفالات و مراسيم تقام لقافلة الحج في الذهاب و الإياب تكون هذه الاحتفالات عبر مراحل يشارك فيها أهالي دمشق على اختلاف فئاتهم[5].

فكان أول عمل يقوم به أمير الحج هو تجهيز الأموال و المؤن ، قبل خروج الحجاج من دمشق بنحو ثلاثة أشهر و هو ما يسمى الدورة[6] .

---

[1] علي كامل حمزة سرحان: إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا و أحمد باشا (1704-1747م) دراسة تاريخية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج2،ع 1، جوان 2012، ص 94.

[2] حسين فلاح الكساسنة: دور الدولة العثمانية في حماية قوافل الحج ، مجلة طريق التربية و العلوم الاجتماعية ،ع 5(8)،جوان 2018،جامعة مؤتة، الأردن، ص 5.

[3] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص 110.

[4] حسين فلاح الكساسنة، المرجع السابق، ص 5.

[5] المرجع نفسه، ص 6.

[6] المرجع نفسه ، ص 6.

بعد ذلك يقام موكب الزيت و الشموع إذ يوافق اليوم السابع من شوال من كل عام، حيث ترسل إلى الحرم النبوي الشريف مع القافلة، وقد كان يؤتى بالزيت من قرية كفر سوسة[1] في ظروف مزخرفة تحملها جمال مزينة، تتقدمها فرقة موسيقية و يشارك أيضا في هذا الموكب أهالي القرية بألعابهم، هذه الأجواء كانت مصاحبة موكب الزيت من مكان جلبه إلى غاية منطقة السنجقدار، أين يتم وضع الزيت إلى جانب أدوات الحج الأخرى[2].

بالنسبة للشموع فتصنع في أحد البيوت بدمشق، و تصنع بمقاييس مختلفة، و عند الفراغ من صناعتها يؤتى بها هي الأخرى في موكب خاص محمولة على أيدي مجموعة من الرجال إلى الكيلار[3]حيث توضع الشموع في أكياس خاصة بها بجانب الزيت[4].

ثم يأتي موكب المحمل و الصنجق، و يكون هذا في اليوم الثامن من شوال، حيث يوضع المحمل على جمل مخصص له ، يرفع الصنجق على سارية خاصة به بعد إخراجها من االكيلار[5]، و يتقدم هذا الموكب مجموعة من المؤذنين حاملين المباخر في أيديهم ، ثم يأتي أكابر الدولة و الجنود الخاصة وقاضي المحمل، ثم ينطلق الموكب من السنجقدار إلى غاية السرايا أين يوضع هناك وبهذا ينتهي الموكب[6] .

و في أواسط شهر شوال يتم الاستعداد لخروج القافلة، ما بين 15-17من نفس الشهر من كل عام، فيجتمع أهل دمشق و جميع الحجاج من جنسيات مختلفة ، مستعدين لمسيرة القافلة التي يكون خروجها من باب المصلى إلى طريق الميدان ، ثم إلى الحرمين الشريفين[7].

---

[1] كفر سوسة: قرية صغيرة في جنوب دمشق قبل ان تتوسع المدينة وتصبح أحد أحيائها.انظر،بسام ديوب: المحمل و قافلة الحج الشامي.(د،د،ن)،(د،ب،ن)،(د،ت)،ص 66.

[2] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج 2،ص 266.

[3] الكيلار: هو المستودع المخصص لأدوات الحج المختلفة (المحمل-السنجق-الشمع -الزيت) يقع في حي البحصة.انظر : بسام ديوب ، المرجع السابق ،ص 69.

[4] جميل يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ج 2، ص 67.

[5]المرجع نفسه، ص 667.

[6] المرجع نفسه ، ص 668.

[7] حسين فلاح الكساسنة، المرجع السابق، ص 6.

و على طول الطريق حرصت الدولة العثمانية على توفير الأمن و تقديم تسهيلات من شأنها أن تحمي قافلة الحج، حيث عينت أمير الحج مع العديد من الموظفين بالإضافة إلى أمير الصرة الذي تقتصر مهمته على توزيع الهدايا على مستحقيها من البدو و أهالي الحرمين،وكذا مخصصات محافظي على القلاع و العاملين على الآبار و البرك الواقعة على طول الطريق[1].

[1] حسين فلاح الكساسنة، المرجع السابق ، ص 6.

3- المرافق الاجتماعية بدمشق:

تعددت المرافق العمومية في مدينة دمشق، كل حسب حاجة الفرد لها، و هذا بغية تحقيق الراحة و الترفيه.

أ-الأسواق: تنوعت أسواق دمشق و ذاع صيتها في معظم الدول و الأمم، وهذا لما تحتويه من منتوجات متنوعة و صناعات تقليدية راقية منذ القديم [1]، فقد وجدت على نوعين :أسواق مجموعة وأخرى متفرقة، وكلها تحوي 6900دكان.[2]

بالنسبة للأسواق المجموعة فيطلق عليها المدينة، يتواجد بها أصحاب التجارة و أرباب البيع و الشراء و الأغنياء، و تباع بها الأقمشة و البضائع الثمينة و غيرها[3]. نذكر منها سوق العلبية سوق القطن ،سوق الدقاقين...إلخ[4].

و فيما يتعلق بالأسواق المتفرقة فكثيرة هي، بحيث لابد من وجود بكل حي سوق أو أكثر سواء كان حي كبير أم صغير،ومن هده الأسواق ماهو مجموع أو متصل ببيعه البعض مثل سوق السنانية سوق الخضراوية ، سوق المناخلية[5].

اعتبر السوق الجديد (السوق الحميدية) من أشهر أسواق دمشق في تلك المرحلة ، حيث بدأ في بنائه في عهد والي الشام محمد باشا عام 1780م، و أطلق عليه اسم السوق الجديد[6].

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق ،ص 272. نايف صياغة : الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر ، وزارة الثقافة ، دمشق،1995 ،ص145.

[2] نعمان القساطلي: المصدر السابق، ص 99.

[3] المصدر نفسه ، ص99.

[4] نايف الصياغة ، المرجع السابق، ص 151.

[5] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص99. محمد عز الدين عربي كاتبي الصيادي : الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، مطبعة المقتبس، دمشق،191 1، ص30، نايف الصياغة ، المرجع السابق، ص 152.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 272.

شيد هذا السوق على مرحلتين الأولى :شملت بناء القسم الغربي الممتد بين باب النصرة و سوق العصرونية عام 1870م. و الثانية : شملت بناء القسم الشرقي الممتد من شوق العصرونية حتى باب البريد عامي 1883و 1884م[1].

و في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وسع وفرشت أرضه بالحجارة السوداء [2]، و عندما تولى الوالي حسين ناظم باشا ولاية دمشق في الفترة الواقعة(1896-1908م) قام بإزالة الأسقف الخشبية و سقوف الأسواق الكبيرة في دمشق ، و تم استبدالها بأسقف من الحديد و التوتياء وقاية لهم من الحريق[3].

و قد سمي بسوق الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني و يظهر هذا في"**استاجر من صاحب المكرمة جميع بياض و قرار أرض جواني الدكان الكائن في السوق الجديدة الذي فتح و المعروف بسوق الحميدية بالصف الشمالي** "[4].

و قد حوى على مجموعة كبيرة من المحلات التجارية و التي كانت تزخر بكل أنواع المتاجرة و الأقمشة المحلية و المستوردة، ما جعله قبلة للكثير من الزوا ر، و قد افتتح سنة 1893م[5].

و الشيء المميز في أسواق دمشق أنها متخصصة بحسب منتوجاتها[6]، فنجد[7]:

-سوق العلبية : يعملون بها العلب الخشبية و ما أشبهها.

-سوق الحبالين: يباع فيه المرس و الخيطان و الحبال.

---

[1] زينب فيصل عبد القادر ، ريهام ابراهيم ممتاز:واقع الأسواق التقليدية دراسة تحليلية لدور الأسواق التقليدية في المدينة المعاصرة ، كلية الهندسة ، قسم الهندسة ، جامعة القاهرة، ديسمبر،2009، ص 5.

[2] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص 272.

[3] المرجع نفسه ، ص272.علي الطنطاوي: المصدر السابق، 1987، ص 118.

[4]المرجع نفسه، ص 272.

[5] فريدة شرفة: العلاقات بين الخلافة العثمانية و بلاد الشام أثناء الحكم العثماني حكم السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909من رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص التاريخ الحديث و المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة باتنة(01)،2015-2016،ص 109.

[6] فيصل قماش: دراسة جيو خدمية للبنية العمرانية القديمة في مدينة دمشق ، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، مج40، ع02، 2018، ص 399.

[7] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص 98.

-سوق القطن : و يباع فيه القطن و الغزل.

-سوق القباقبية: و بها يعملون القباقيب و الصناديق و الصواني الجميلة المطعمة بالصدف[1].

و هناك سوق باب البريد و هي أجمل أسواق المدينة كلها وأحسنها، و تباع بها المنسوجات المحلية و الأجنبية الثمينة، و لا يخلو من الناس ، وفي وسطها قبة شاهقة قائمة على أعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية و الكوفية و من جملها هذان البيتان[2]:

عرج ركابك عن دمشق فإنها بلد تذل لها الأسود و تخضع

ما بين بابـيها و باب بريدها قمر يغيب و ألف بدر يطلـع

وجد أيضا سوق الدرويشية نسبة لجامع درويش باشا، ويمتد من مدخل سوق الحميدية حتى جامع السنانية في باب الجابية[3]، على أطرافه توجد حوانيت، و خمسة جوامع، منها الدرويشية و السباهية و السنانية ، وبها حمامان هما حمام الملك و حمام الحدادين [4].

و به أيضا من المقاهي ما يقارب خمسة أو ستة قهاوي على طرفيه، و هو متسع العرض مفروش على طرفيه بالأشجار و يضع فيه المارة التخوت و الكراسي للجلوس عليها ، و تستديم هده القهاوي من الفجر إلى منتصف الليل و هي تستقبل الناس[5].

و معظم الأسواق في مدينة دمشق ، مستقيمة و عريضة جميلة مرتبة، لا ترى الشمس في الصيف ، و لا الأمطار في الشتاء، لأنها مسقوفة إلا بعضها يقصدها الكثير من الناس للبيع و الشراء.[6]

---

[1] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص 98.

[2] المصدر نفسه، ص 98.

[3] أماني خليل الرحال: طريق الحج و عمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية (دراس تاريخية و مقارنة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية ، قسم تاريخ و نظريات العمارة ظن كلية الهندسة المعمارية ، جامع دمشق ،2015، ص 189.

[4] محمد عز الدين عربي كاتبي الصيادي ، المصدر السابق، ص 29-30.

[5] المصدر نفسه،ص29-30.

[6] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص 100.

و كانت الأرض في تلك الأيام مرصوفة بحجارة و على مر الأيام، غطيت بالتراب، و لكثر رش الماء عليها أصبحت كالبلاط لا غبار يتصاعد منها ، و لهذا بضائعها نظيفة ، وتوجد أمام كل دكان مصطبة ، و قد كانت هذه الأسواق قبل السلطان عبد الحميد الثاني ضيقة[1].

ب-المقاهي: وجدت قهاو كثيرة في مدينة دمشق ،خاصة بمرجتها حيث كان يجتمع الناس بها ليلا و نهارا و قد كان للقهاوي مكان هامة في سالف الزمان ، ذلك أن جماعة الإنكشارية كانوا يجتمعون فيها يصورون عددهم الحربية فوق الوجاق ، و كان من قتل قتيلا و توصل إلى وجاق القهوة يسلم[2].

و وجد في مدينة دمشق مايقارب 110مقهى بين كبيرة و صغيرة ، و من بين هذه المقاهي نذكر[3]:

- أشهرها: مقهى السكرية تقع في باب الجابية و قهوة القماجين بالقرب منها.
- قهوة العصرونية و هي متسعة كبيرة موقعها برأس العصرنية.
- قهوة الجنينة بسوق الخيل .
- و قهاوي العمارة بالعمارة.

و عرفت بأن سعر الفنجان الواحد للقهوة بغير سكر خمس بارات[4]، فيقصدها الناس لأجل التسلية و الاجتماع ببعضهم البعض[5]،و كثرة المقاهي في المدينة ما هو إلا دليل على كثرة من يرتادها من الناس، لقضاء أوقات الفراغ و التسلية و حضور بداية المسرح ، و الكوميديا (خيال الظل) الذي انتشر في البلاد في تلك الفترة و سماع الحكواتي الذي يقرأ القصص[6] .

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 274.

[2] المرجع نفسه، ص 177.

[3] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص109.

[4] بارات: مفرد بارة وهي نقد معدني ضرب في عهد السلطان مراد الرابع وزنها يزيد عن خمسة قراريط ، أبطل التعامل بها سنة 1832م، و حيث سك نقد من نوع القرش، و كان القرش يساوي أربعين باره ، انظر: محمود عامر : المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 117-118، جانفي -أوت ،2012، ص366.

[5] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص175.

[6] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 175.

و كانت المقاهي تقدم القهوة و الشاي شتاءا ، و أنواع من المرطبات صيفا، و التدخين بالتبغ و النارجلية على الدوام، و يكون اجتماعهم بعد العشاء طلبا للراحة[1].

و تعد مقهى (ديميتري)ـ وهو يوناني انتقل إلى دمشق ـ والتي شيدت على الطراز الحديث مقصد لأرقى طبقات الدمشقيين و كان المقهى في مرجة دمشق[2].

و الملاحظ أن أغلب ملاكي المقاهي من الأعيان و الوجهاء و يتضح هذا في "**استأجر مفخر الأماجد الكرام و سوق ساروجة ، من صاحب الفضيلة عبد الحميد الأسطواني نائب قضاء دوما،فأجره جميع القهوة خانة الواقعة في سوق الخيل، بأجرة قدرها (108 قروشا)عن كل سنة**"[3].

و قد وجد اختلاف في أجرة المقاهي ، ففي محلة سوق الخيل التابعة لسوق ساروجة أجرة كل سنة (108قروش)، كما ذكرنا ، و في الشاغورة 42 قرشا عن كل سنة[4].

و كان في هذه الفترة قهاوي يسمونها كازينات ، وهي في سوق الخيل و الصوفانية خارج باب دوما، و يبلغ سعر فنجان القهوة فيها عشرون بارة ، وبإمكان الغريب من أي رتبة كان أن يقصدها للراحة ن و الاختلاط مع الناس[5] ، و يذكر" **أن مصطفى يزباشي ابن أحمد استاحر جمبع الكازينو خانة ...و الثلاث دكاكين ظاهر دمشق بمحلة سوق الخيل ، تابعة لسوق ساروجة بالصف الشمالي على الكازينو** ..." ، و يعتبر المستأجرون أيضا من الوجهاء و الأعيان ، الذين رغبوا في زيادة الأرباح من دخول هذه الأماكن ، و هذا بالإضافة إلى رغبة الناس في السمر و السهر فيها[6].

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص 175.

[2] المرجع نفسه، ص 175.

[3] المرجع نفسه ، ص 176.

[4] المرجع نفسه ، ص 176.

[5] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 109.

[6] عمر عبد العزيز منير: مقاهي دمشق في العصر العثماني ، جريدة الحياة اخبارية ثقافية ، (د.ع)،17 أوت2013،السعودية، تاريخ الإطلاع على الرابط2019/05/09.

WWW.alhyat.com

بالنسبة للإفرنج أقاموا حفلات تنكرية و مساخر و كرنفالات و انتشر بصورة تدريجية لعب الورق و النرد (طاولة الزهر)، وشرع بعض الدمشقيين المتفرنجين بتقليد الجاليات الأوروبية و الاهتمام بعطلة نهاية الأسبوع[1].

و كانت أغلب المقاهي تبنى على ضفاف بردى و فروعه ، و في كل مقهى قسم شتوي وآخر صيفي يسمى "مصيف"[2].

و قد وجد في دمشق المقاهي على نوعين : بلدي و مدني ، ففي المقاهي البلدية ، كان يجلس الناس على الحصر و الكراسي المربعة أمام مناضد خشبية موازية للكراسي ، و تقدم فيها النراجيل و القهوة، و يقضي الناس أوقاتهم في لعب الصنا و الدومينو و الورق و النرد[3].

أما المقاهي المدنية، فمقاعدها من كراسي الخيزران، و يتوفر بها على حسب قيمة المقهى ما يلزم من أدوات كالشطرنج و البلارد و البيزيك، و مختلف أنواع لعب الورق،و يلعب فيها الناس جميع أنواع الميسر كالبوكر و الباشكا و الأتورنز[4].

و يرجع انتشار هدا النوع من المقاهي في دمشق، إلى كثرت وفود الأجانب إلى المدينة، مما نتج عنه تغلغل ثقافي لعادات دخيلة عن المجتمع في تلك الفترة [5].

كما لعب الحكواتي دورا مهما في المقاهي، إذ كان بتصدر المكان و يروي لهم غالبا القصص التي يرغبون بسماعها مثل: رواية عنترة ابن شداد، و الزير، وأبي زيد، وهي روايات حماسية تمثل الشجاعة، و الكرم[6]، و في المقابل يجني بعض البخشيش[7] [8].

---

[1] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 203.

[2] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 177.

[3] المرجع نفسه، ص 177.

[4] المرجع نفسه، ص 177.

[5] المرجع نفسه، ص 178.

[6] محمد كرد علي، خطط الشام ، المصدر السابق، ص 279.

[7] البخشيش: لفظ فارسي معناه:هبة أو عطاء، شاع استعماله في البلاد العربية ، بمعنى المكافأة على العمل،انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 70.

[8] ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 178.

و جذب حي اليهود في دمشق الذين كانوا يريدون التمتع بالحياة الصاخبة، حيث يقضون السهر مع أصدقائهم بصحبة الفتيات و الراقصات (اليهوديات)[1]. و يشربون الخمرة، حيث سمح بعض اليهود لبناتهم لجذب الشباب من الطوائف الأخرى و جعلهم يبتعدون عن العلم و التقدم بإدمان النساء و الخمور، بغية إضعاف المجتمع الدمشقي لتسهيل السيطرة عليه من قبل الغرب، و من بين إحدى الفتيات المغنية الموسوية خانم بنت يحوز لاطي العثمانية، من سكان محلة اليهود بالشام[2].

د-الخانات : وجد في دمشق العديد من الخانات، منها ما هو لإنزال المسافرين و أخرى كمركز للتجارة الداخلية و الخارجية[3]، و هي نوعان[4]:

- النوع الأول: يختص بأصحاب التجارة و هو في المدينة (في الأسواق).
- النوع الثاني : مخصص للدواب و بعض الفقراء وهو متفرق في جميع أنحاء المدينة ، و على أطرافها.

يتصف النوع الأول بأنه يأوي القوافل كاملة، في الإسطبلات البدائية أو في وسط الباحة وتوضع أيضا الحيوانات الحاملة للبضائع، و في الطوابق العليا تخصص لمبيت المسافرين و الحمالة، أما النوع الثاني فيستخدم للتجارة حصرا، و بالخصوص تجارة الجملة، أما التجار فيسكنون الحجرات المتراصة إلى جانب بعضها البعض في الطابق العلوي و يوجد في بعض الحجرات غرف صغيرة للبيع و الشراء[5] أما الصفقات التجارية الرئيسية فتبرم في الغرف السفلية أين تخزن الكميات الكبرى من البضائع[6].

---

[1] ماري دكران سركو، المرجع السابق ، ص 178.ماكس فون أو بنهايم ، المرجع السابق، ص 88.

[2] المرجع نفسه، ص 178.

[3] يوسف جميل نعيسة،المرجع السابق، ص 176.

[4] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 110.

[5] المصدر نفسه، ص 110. سيد محمود السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية (النشأة و الإزدهار)، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2010.ص 443.

[6] ماكس فون أو بنهايم، المرجع السابق، ص 77.

و عند قدوم الضيف لم يكن هناك من يستقبله من خدم أو عمال ففي كثير من الأحيان يستدعى صاحب الخان من السوق أو المقهى المجاورة ، و يقوم الضيف بنفسه بترتيب بضاعته و أمتعته في المكان المخصص له،أما في المدن فتكون الخانات على قدر كبير من الأهمية إذ تضم دكان للحلاقة و محلات لبيع المواد الغذائية الضرورية و بالإضافة إلى مقهى[1].

ومن أشهر خانات التجار داخل مدينة دمشق و أعرقها خان أسعد باشا العظم[2]، سمي نسبة لبانيه ، فقد بني من حجار مدماك بيضاء و سوداء، و في صحنه بركة كبيرة مستديرة [3]، تعلوها قبة شاهقة العلو ، و قد شيدت فوق أعمدة من الغرانيت، و يضم الخان قسمين القسم العلوي القسم السفلي و في كل منهما حوانيت للتجار، و يستأجر كل تاجر إحدى هذه النوافذ بغية عرض بضاعته و يتناوب الحراس على سلامة الغرف[4].

و يوجد بالقرب من الخان حظائر كبيرة مخصصة للأحصنة و المسافرين و القوافل ، و يتوفر كذلك على نوافير تنثر الماء بشكل منتظم فتضفي على جو الخان بهائا و انتعاشا[5].

و يعتبر هذا الخان مقصد السياح لما يتميز به من جمال في صنعة البناء، إذ حوى على أدق صنعة من عمل الحجارين ، وقد أظهر بعضهم الاندهاش من إتقان بابه و جماله [6]؛ فبابه يشكل إحدى القطع المغربية الهندسية التي تتميز بغنى تفاصيلها[7].

---

[1] ماكس فون أو بنهايم، المرجع السابق، ص 77.

[2] أسعد باشا العظم: هو أسعد باشا الشهير بن إسماعيل الوزير الشهير ببن العظم، وبد بمعرة النعمان سنة 1117هـ،اكتسب من عمه إدارة المالكانات، أصبح والي لدمشق سنة 1156هـ و تولى إمرة الحج وحج بالحجيج 14 حجة ، ثم ولي مصر إلا أنه استعف و عاد إلي حلب ثم عزل و عين والي على سيواس ، قتل بمدينة أنقرة سنة 1171هـ،انظر: محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صح،عل : محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، ط2،ج3، 1988، ص 270-271.

[3] نعمان القساطلي، المصدر السابق،ص 110.

[4] علي القيم: دمشق و لامارتين ، مجلة المعرفة ثقافية شهرية،ع 532، وزارة الثقافة ، ذي الحجة 1428هـ-جانفي 2008م، دمشق ،ص 18.

[5] علي القيم، المرجع السابق ،ص 18.

[6] نعمان القساطلي، المصدر السابق ،ص 110.

[7] علي القيم، المرجع السابق،ص 19.

و على جانبي بابه فسيقتان حسنتان يشرب منها الناس و عند الدخول إليه موجود على جهتيه اليمنى و اليسرى سلمين حجريين يؤديان إلى الطابق العلوي، الذي يفضي إلى حوانيت كبار التجار و خصوصا الذين يتجرون إلى العراق و بلاد العجم[1].

و هناك خانات أخرى بدمشق لا تقل أهمية عن المسبوق بالذكر، وهي : خان العمود المتواجد أمام خان أسعد باشا العظم، و خان سليمان باشا في سوق الحبالين، ويقال خان الحماصنة دلالة على ارتياد تجار الحمص فيه، و يعد ثاني أهم خان بعد خان أسعد باشا في الجمال و الاتساع و خان الجمرك ؛ سمي كذلك لأنه في السابق كان مركزا للجمرك و بعد سنة 1864م، نقلت ملكيته ، وحول إلى سوق ثم اشتراه شمعايا أفندي و الذي جعله نزل لبعض كبار الصيارفة[2].

و هناك خان الجوخية الواقع في سوق الخياطين، و خان الزعفرنجية المتواجد في سوق القلبقعجية و خان قطناه، و الذي يقع بين خاني الجمرك و المرادية[3].

أما النوع الثاني ؛ فأشهر خاناته بسوق الخيل و العمارة و باب المصلى و الشاغور و العلمية ينزل بها الغرباء و هم غير ملزمون بدفع أجرة الحجرة أكثر من 15 قرشا في الشهر، وهي الخانات المخصصة للدواب و إيواء الماكرين و الفقراء وهي في أماكن متفرقة من المدينة[4].

[1] نعمان القساطلي،المصدر السابق،ص 110.

[2] المصدر نفسه، ص 110. نايف الصياغة ، المرجع السابق ، ص 153.

[3] أماني خليل الرحال، المرجع السابق، ص 141.

[4] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 111.

ومن خلال هذا العرض للحياة الاجتماعية لدمشق نستنتج:

– أن التنوع السكاني لعبا دورا مهما في حركية المدينة، ولم يشكل عائقا أمامها؛ بل بالعكس كانت هناك علاقات تربط بين أطياف المجتمع سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهود.

– كذلك كان لهذا التنوع أثر على كافة مظاهر الحياة العامة، إذ ظهر التمازج في طقوس الاحتفالات العائلية، إلا أنها اختلفت في المناسبات الدينية.

– بالنسبة لقافلة الحج التي عززت من مكانة دمشق، كانت جميع فئات المجتمع الدمشقي تشارك في احتفالات ذهابها و إيابها.

– ساهمت المرافق الاجتماعية بدورها في تمتين هذا الترابط خاصة الأسواق و المقاهي و الخانات التي عدت مكان تجمع و لقاء جميع أطياف المجتمع.

الفصل الثاني: الحياة الثقافية للمجتمع الدمشقي خلال العهد العثماني

عرفت دمشق نوع من الجمود في الجانب الفكري، لكن الدولة العثمانية في الفترة 1876-1908م عملت جاهدة على الأخذ بالتعليم الحديث، على غرار ذلك وجود ولاة مصلحين، هذا من جهة و من جهة أخرى كما كان للطباعة و المكتبات و الصحافة نصيب في هذه الإصلاحات.

1- المؤسسات التعليمية:

في بداية القرن التاسع عشر لم تول الحكومة العثمانية اهتماما للتعليم، فتركت الاهتمام به لكل طائفة تقوم به حسبما ترى، وفي هذا يصف أحد شهود العيان حالة التعليم في تلك الفترة بقوله: " **لقد بلغ الجهل مبلغا عجيبا في الناس حتى قل فيهم من يعرف القراءة والكتابة أو أبسط العمليات الحسابية... كما كان الكثير من التجارة وأصحاب الحوانيت يتخذون رموزا خاصة بهم تذكرهم بعملياتهم التجارية اليومية إلى أن يجدوا من يدونها لهم**" [1].

وبعد أن شرع نظام التعليم العثماني عام1869م الخاص بإصلاح منظومة التعليم في الدولة العثمانية في جميع المراحل، وتم بموجبه توسعة إنشاء المدارس في بلاد الشام وانتظامها فأصبح لها نظام تعليمي رسمي شمل كافة المراحل الدراسية، وأخذت المنشآت التعليمية نصيبها من التوسعة أيضا ، وجعلت إدارة المعارف في ولاية الشام المسئولة بالمتابعة والرقابة، وفي الوقت نفسه ازدادت الإيرادات المخصصة للولاية، وظل واقع التعليم في ولاية سوريا محافظا على ما هو عليه حتى وصول الوالي مدحت باشا[2].

لاقى التعليم اهتمام كبير لدى الحكومة العثمانية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين[3]، فعندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم جعل التعليم من أولويات سياسته، وذلك بغية إزالة حالة الركود العلمي الذي كانت تعاني منه الولايات العثمانية ومواكبة المؤسسات العلمية الأوروبية[4].

---

[1] عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام1834- 1914، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص 107.

[2] صباح مهدي رميض: التنظيمات العثمانية وتطبيقاتها في ميدان التعليم في ولاية سوريا1841- 1880م، طريق مجلة العلوم التربوية والاجتماعية، ع5(6)، كلية التربية ابن راشد، جامعة بغداد، أفريل 2018، ص 707.

[3] هيثم محيي طالب الجبوري ، زينب حسن عبد الجبوري: أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج.23، ع03، 2015، ص 1451.

[4] إبراهيم شعبان وآخرون: اللغة العربية في تركيا، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، 2016، ص 108.

ولقد أشار السلطان عبد الحميد عن أهمية التعليم والثقافة في المجتمع أثناء إلقائه خطاب العرش أمام مجلس المبعوثان[1]، إذ قال: " **من واجبنا بالمقابل أن نعير انتباهنا لتثقيف عقول شعوبنا . بأن الأمم الأوروبية حازت الازدهار الذي تنعم به جراء التعليم العام، فإننا نتمنى أن يتمكن أبناء رعيتنا، إلى أي طبقة انتموا، من الاستفادة من حسنات العلم... فإننا أصدرنا مرسوما بإنشاء مدارس تصبح فيها الثقافة والتربية بالتساوي في متناول الجميع، ولانجاز هذا البرنامج في اقصر مدة ممكنة، نتمنى أن تزيد نسبة الاعتمادات المخصصة للتعليم العام، إنه من الأهمية بمكان إيجاد مدارس مختلطة في المقاطعات التي يعيش فيها مسيحيون ومسلمون معا، فهذه الوسيلة تمكنهم من التعارف ومن تقدير بعضهم لبعض**[2]" .

ونظرا لأهمية التعليم في حياة الشعوب ونهضتها، فقد خص الدستور العثماني لسنة1876م في المادة منه على أن التعليم حر وكل شخص عثماني مرخص له بالتدريس العمومي والخصوصي بشرط مطابقة القانون[3].

وعندما عين مدحت باشا واليا على سوريا في24 نوفمبر سنة1878م سعى لتنظيم الإدارة والضرائب ، وعمل على تشجيع الحركة التعليمية أين لاحظ أنه لم يكن للحكومة سوى بضعة مدارس ابتدائية تسمى(مكاتب الصبيان) يقرأ فيها الأطفال القرآن الكريم، بينما انتشرت مدارس الإرساليات التبشيرية[4] وتقدمت كثيرا في مضمار التعليم الحديث، هذا الوضع دفع بمدحت باشا إلى وضع برنامج إصلاحي حديث للتعليم[5].

---

[1] مجلس المبعوثان: هو مجلس تمثيلي للدولة العثمانية والولايات التابعة لها وقد نص الدستور على أن يمثل كل عضو خمسين ألفا من السكان، واشترط على أعضاء المجلس إتقان اللغة التركية، وأن لا يجمعوا بين عضوية المجلس ووظيفة حكومية أخرى باستثناء الوزارة، وتناقش في المجلس قضايا مختلفة. انظر: زهير غنايم عبد اللطيف غنايم: التمثيل النيابي وقوانين الانتخابات في الدولة العثمانية، المنار، مج 13، ع 07، 2007، ص 306.

[2] صباح مهدي رميض، المرجع السابق، ص 703.

[3] القانون الأساسي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1908، ص 6.

[4] الإرساليات التبشيرية: هي هيئات مسيحية تكونت في سنوات وظروف مختلفة، وكانت مهمتها نشر الدعوة المسيحية وإعداد دعاتها. انظر: عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ت)، ص 167.

[5] أحمد إبراهيم خليل: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني1516– 1916م، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة موصل، العراق، 2005، ص 227. ناجي علوش: الحركة العربية القومية في مائة عام، 1875 ـ 1982، دار الشروق، الأردن، 1997، ص 130.

وهذا ما جاء على لسانه في مذكراته:" **...وتوجهت إلى سوريا...للأن حب الإصلاح قد اختلط في دمي، ولذلك وضعت خطة لإصلاح ولاية سوريا... وأن أول ما وقع عليه نظري في تلك الولاية هو أن مسلميها يشوبهم الجهل ما عدا العلماء ... وفكرت في تعليمهم وإصلاح وضع مدارسهم، فقدمت على مشروع إصلاح المدارس وشكلت جمعية من العلماء وجمعت الإعانات من ذوي المروءة، فأصلحت بعض الجوامع وجعلتها مدارس للأحداث وأدخلت في كل مدرسة ما بين(150- 200) تلميذ، وقررت أن يجازي ولي الطفل إذا بلغ ولده السادسة ولم يرسله إلى المدرسة، وخصصت عدا الإعانة جزءا من إيراد الأوقاف وعممت المدارس في الملحقات وكان أهالي الشام يميلون إلى روح التعليم فألفوا جمعية سموها(جمعية المقاصد الخيرية)[1] وانتشرت شعبها في أنحاء الولاية[2]**".

وبهدف تنظيم التعليم، عمد إلى إنشاء إدارة خاصة للمعارف وظيفتها الإشراف على المدارس ويرأس إدارتها مدير المعارف ويعاونه مساعدان أحدهما مسلم والآخر غير مسلم بالإضافة إلى أربعة محققين وعشرة أعضاء ينتمون إلى ديانات مختلفة وكاتب وأمين صندوق ومحاسب، المهمة التي أوكلت إليهم هي مراقبة الكتب الأجنبية والإشراف وتدقيق ما يجري من مصالح متعلقة بمعارف لولاية وإجراء ما يقرر من الإصلاحات المقترحة بشؤون التعليم[3].

وكذا الإشراف على ما يؤسس داخل الولاية من المدارس والمكتبات والمطابع والتفتيش على المدارس باستمرار والنظر في إصلاحاتها وإرسال تقرير سنوي نظارة المعارف بخصوص أحوال معارف الولاية، وإرسال نسخة عن هذا التقرير إلى مجلس الولاية وتنظيم الميزانية وكل ما يتعلق بالتعليم[4].

---

[1] جمعية المقاصد الخيرية: تأسست سنة 1878م تحت جهود والي سوريا مدحت باشا، كان لها دور تعليمي كبير، وقفت في وجه النشاط التبشيري.انظر: وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860 ـ 1920، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص 149.

[2] مدحت باشا :مذكرات، تعر: يوسف كمال بك حتاته، مطبعة أمين هندية، مصر، (د.ت)، ص 37.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 257.

[4] المرجع نفسه، ص 258.

أما بخصوص أنماط التعليم فكانت مقسمة على ثلاث أنماط هي:

أ- الكتاتيب: بدأت في المدن، يلتحق بها الأطفال في سن مبكرة وتتولى شؤونها معلمة تسمى (خجا) وتضم هذه الحلقة الصبيان من الذكور والبنات، ومنهجها تعليم القرآن وحسن قراءته، وإلزام ختمه في نهاية الدراسة بعد أن تجري حلقة يذلك، ثم ينقل التلميذ إلى مرحلة أعلى في مستواه التعليمي، يتلقى التعليم على يد شيخ[1]، هذا الأخير يتقاضى أجرا أسبوعيا من التلاميذ مقابل تعليمهم، ويطلق عليها" أجرة الخميسية"؛ وذلك أنها تدفع يوم الخميس من كل أسبوع، أما بالنسبة للمواد الدراسية التي تدرس فهي، القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتعلم الحساب[2].

ب- المدارس الحكومية: نظمت المدارس في الدولة العثمانية بموجب نظام المعارف الصادر عام 1869م، والذي صيغ في (198) مادة بموجب هذا النظام قسمت الدراسة إلى خمس مراحل[3]:

1- **المرحلة الابتدائية:** حيث تكون في كل قرية مدرسة ابتدائية يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها، ويكون التعليم في هذه المرحلة إلزامي، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، وبالنسبة لمناهج التعليم بها فتضمنت العلوم الدينية، القراءة والكتابة باللغة التركية والحساب والعلوم والجغرافيا والتاريخ، ولا توجد أية لغة أجنبية ضمن المنهاج[4].

ففي سنة1880م بلغ عدد المدارس الابتدائية في مدينة دمشق(103) مدرسة ابتدائية منها(19) مدرسة مختلطة، ضمت(567) تلميذا وتلميذة،(16) مدرسة للإناث ضمت(498) تلميذة، و(68) مدرسة للذكور وضمت(2579) تلميذا[5].

---

[1] صباح مهدي رميض، المرجع السابق، ص 705. عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 254.

[2] اليافي عبد الكريم : التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،التراث العربي ، مج12، ع45، أكتوبر،1991.ص 13-14.

[3] فريدة شرفة، المرجع السابق ، ص 54.

[4] جوزيف زيتون: التعليم في ولاية سورية، 2013، تاريخ الاطلاع على الرابط: jose pheitoun _ com 2019/04/17

[5] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 260.

2-المدارس الرشدية: نص نظام المعارف على إنشاء مكتب رشيدي واحد في كل بلد يتجاوز سكانه 500 بيت شريطة أن يكونوا مسيحيين أو مسلمين، أما إذا كان أهل البلدة مختلطين فيجب أن يقدر عدد السكان بـ1000 بيت، وتكون النفقات إنشاء المدارس الراشيدية على حساب إدارة معارف الولاية ومدة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات[1] .

أما بالنسبة للمنهاج فيتضمن ما يلي: العلوم الدينية واللغة التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية، بالنسبة للتدريس باللغة العربية من أجل الاستفادة منها في تفسير القرآن والحديث وتدريس اللغة الفارسية للاستعانة بها في دروس الأدب العثماني، ولا يتعلم التلاميذ لغة أوروبية في هذه المرحلة[2]، وقد وجدت في دمشق مدرسة رشدية عسكرية ضمت (265) تلميذا[3].

كان الهدف من التعليم الرشدي تهيئة التلاميذ للمرحلة الإعدادية وتزويدهم بثقافة تمكنهم من التوظف في دوائر الدولة[4].

3- المدارس الإعدادية يؤسس هذا النوع من المدارس في مراكز الأقضية أو الألوية التي لا يتجاوز عدد سكانها (1000) بيت، تلقى نفقات إنشاء هذه المدارس على عاتق صندوق وإدارة معرفة الولاية ويخصص لكل إعدادية ستة معلمين مع معاونيهم، ويحمل معلمو المدارس الإعدادية شهادة دار المعلمين، مدة الدراسة في هذه المدارس ثلاث سنوات[5].

أما مناهجها فهي اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافية والطبيعة والمنطق والكيمياء والجبر والرسم، وتعلم اللغة الفرنسية، ولا يدرس الطالب اللغة العربية[6] و وجد بدمشق مدرسة إعدادية عسكرية ضمت(80) تلميذا[7].

---

[1] فريدة شرفة، المرجع السابق، ص 54.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999، ص 414.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 261.

[4] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 44.

[5] صباح مهدي رميض، المرجع السابق، ص 706.

[6] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 255.

[7] المرجع نفسه، ص 261.

وكان هدفها إعداد موظفين إداريين مؤهلين وهي صنفين منها ما هو داخلي، وفيه يؤخذ من التلاميذ رسوم معينة لقاء مصاريف إقامتهم الداخلية، وقد يعفى الفقراء، أما النهاري منها فالتعليم فيها مجاني[1].

4- المدارس السلطانية: يلتحق بهذه المدرسة سوى التلاميذ اللذين نجحوا في امتحان المرحلة الإعدادية، ولا يوجد هذا النوع من المدارس إلا في مراكز الولايات ويشترط على التلاميذ دفع رسوم تختلف من تلميذ لآخر، فالتلميذ الذي يدرس ليلا يدفع مبلغا يتراوح ما بين 20الى30 ليرة عثمانية أما الذي يدرس نهارا فيدفع الرسوم الليلية، وبالنسبة للتلميذ الخارجي يدفع ربع الرسوم الليلية[2].

بالنسبة للدراسة في المدارس السلطانية فهي تقسم إلى قسمين:

- **القسم العالي:** تكون فيه الدراسة لمدة ست سنوات، ويتفرع إلى شعبتين، شعبة الآداب ومواد الدراسة فيها: فن الكتابة والإنشاء التركي، المؤلفات المتعلقة بالأدب العربي والفارسي والمعاني اللغة الفارسية، علم ثروة الأمم ،حقوق الأمم، التاريخ [3].

وشعبة العلوم ومواد الدراسة فيها، الهندسة، المناظرة، الجبر، تطبيق الجبر على الهندسة المثلثات المستوية والكروية الهيئة، الفلسفة الطبيعية، تطبيق الكيمياء على الصناعة والزراعة، علم المواليد، فن تخطيط الأرض[4].

- **أما القسم المعتاد(العادي):** فمدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ومواد الدراسة فيه مماثلة للدراسة الإعدادية والتعليم فيها باللغة التركية، ويمكن لخريجيها الالتحاق بمدرسة اسطنبول العالية[5].

5- المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين والمعلمات ودار الفنون في اسطنبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلف، ومدة الدراسة في دار المعلمين تختلف من شعبة إلى أخرى[6].

---

[1] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 414.

[2] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 256.

[3] المرجع نفسه، ص 256 .

[4] المرجع نفسه، ص 256.

[5] صباح مهدي رميض، المرجع السابق، ص 706.

[6] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 256.

ففي شعبة الرشدية تكون ثلاث سنوات، ويشترط في الطلبة المقبولين في هذه الشعبة أن يكونوا قد اجتازوا مراحل التعليم السابقة وحصلوا على شهادات الدراسة الرشدية والإعدادية والسلطانية[1].

ففي سنة1894م، تم افتتاح "دار المعلمين" بدمشق وكانت مدة الدراسة فيها سنتين كان هدفها تخريج معلمين للمرحلة الابتدائية فقط، ويتضمن منهاجها المواد التالية: المواد الدينية علم المواليد اللغة التركية، العربية، الرسم، التاريخ العمومي، الرياضيات الجغرافية، اللغة الفرنسية، أصول مسك الدفاتر، اللغة الفارسية، الخط[2].

أما الدراسة في دار الفنون فتنقسم إلى ثلاث شعب، تختص الشعبة الأولى بتعليم الفلسفة والأدب والثانية بالحقوق والثالثة بالعلوم الطبيعية والرياضيات، ومدة الدراسة في كل شعبة ثلاث سنوات[3].

و في سنة 1901م أصدر السلطان عبد الحميد أمرا بإنشاء "مدرسة الطب" في دمشق والتي أفتتحت للدراسة رسمياً في عام 1903م، وكانت مدة الدراسة فيها ست سنوات ، والتدريس باللغة التركية، وقد ألحق بالمدرسة الطبية ، مدرسة للصيدلة، وخرجت المدرستان بين الأعوام 1903و1918م مئة وعشرة من الأطباء ومائة واثنتين وخمسين من الصيادلة ، وقد انتسب إلى تلك المدرستين عدد من الطلاب من العراق واسطنبول فضلاً عن بلاد الشام[4].

جـ-المدارس الخاصة: حسب نظام إدارة المعارف العمومية لسنة1869م فهي تلك المكاتب التي تستحدث في بعض المحلات وتأسس من قبل جمعيات أو أفراد سواء كان هؤلاء من رعايا الدولة أو الأجانب[5]، واشترط النظام على هذه المدارس ما يلي[6]:

- الحصول على رخصة رسمية من طرف إدارة المعارف للولاية من قبل فتح مدرسة.
- تكون لهيئة التدريس شهادات مصادقة من إدارة المعارف المحلية.

---

[1] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 256.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 415 ـ 416.

[3] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 263.

[4] محمد عصفور سلمان الأموي: حركة الإصلاح في الدولة العثمانية و أثرها على المشرق العربي 1839-1908، أطروحة دكتوراه في فلسفة التأريخ، قسم التاريخ . الدراسات العليا، كلية الآداب ، جامعة بغداد، غير منشورة، 2005، ص 268-269.

[5] اسكندر لوقا:الحركة الأدبية في دمشق 1800-1918،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،2008 ، ص 55.

[6] فريدة شرفة، المرجع السابق، ص 55.

- تراقب إدارة المعارف جداول الدروس وكتب التعليم.[1]

وتنقسم المدارس الخاصة إلى قسمين:

1-المدارس الوطنية: ويعود الفضل في تأسيسها في بادئ الأمر إلى الجمعيات الإسلامية في ولاية سورية وإلى أهل البر والإحسان في مدنها وقراها[2].

وقد كان لجهود مدحت باشا أثرها في زيادة عدد المدارس رغم قصر مدة ولايته، تمكن من إنشاء "**جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية**" التي استطاعت أن تنشأ ثماني مدارس، توافد عليها الطلبة فبلغ عددهم نحو(1100) طالب، وبالنسبة لنفقتها فكانت من أهل الإحسان[3]، كما أنشأت الجمعية مدرسة للبنات استوعبت (150) تلميذة[4].

2- المدرسة التبشيرية: إن المدارس التبشيرية سبقت المدارس الرسمية العثمانية ولقد اهتمت الإرساليات بإنشاء المدارس[5]، كانت وظيفتها ترمي إلى وضع النير الأوروبي في أعناق المسلمين أولا، وانحلال الرابطة الإسلامية ثانية والتبشير بالنصرانية ثالثا. في المقابل كان لها دور ايجابي كتنبيه الوعي القومي وتعليم اللغات الأجنبية، وإدخال العلوم الحديثة في مناهج الدراسة لجعل التعليم في البلاد أكثر ملائمة لحاجات العصر[6].

حظيت المدارس التبشيرية بحرية أوسع من المدارس الوطنية وكان لذلك خطر كبير على العقول الناشئة، إذ اخذ المعلمون الأجانب يستميلون تلامذتهم إلى بلدانهم. فتنبهت الدولة العثمانية لخطر التبشير، فلجأت إلى إقامة عراقيل أمام المبشرين، ففرضت عليهم رقابة شديدة[7] .

---

[1] فريدة شرفة، المرجع السابق، ص 55.

[2] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 46.

[3] نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 160، محمد حسن الدقن، المرجع السابق، ص 144.

[4] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص255.

[5] فريدة شرفة، المرجع السابق، ص 56.

[6] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 46 ـ 47.

[7] عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 265 ـ 266.

ساهمت الإرساليات الأجنبية في إنشاء المدارس في دمشق ففي سنة1885م بلغ عدد المدارس غير الإسلامية(28) مدرسة عالية منها(23) للذكور، فيها(1550)تلميذ و(5) مدارس للإناث وفيها(743) تلميذة، و(10) مدارس ابتدائية للذكور فيها(661) تلميذا و(3) مدارس ابتدائية للإناث وفيها(363) تلميذة كما وجد في قضاء حاصبيا مدرستان عاليتان ضمت(235) تلميذا وتلميذة[1].

وتعد مدرسة اللعازريين أقدم المدارس وأكثرها اتقانا مخصصه للذكور فقط، كانت تدرس فيها اللغة العربية بفروعها والفرنسية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا، وكان في سنة1879م (7) معلمين و(160) تلميذا. أما مدرسة اللعازريين للإناث فكان فيها أربعة عشر معلمة و(500) تلميذة[2].

ومن مدارس المسيحيين في دمشق مدرسة الروم الأرثوذكس والمدرسة الإنجيلية والمدرسة البطريكية الكاثوليكية والمدرسة الكاثوليكية السريانية، ومدرسة الأرمن ومدرسة السريان اليعقوبيين ومدرسة الفرنسيسكان، ومدرسة الإنجليزية اليهودية وغيرها، كانت كلها للذكور أما مدارس الإناث فهي المدرسة الكاثوليكية، الأرثوذكسية، الإنجليزية ومدرسة الروم وغيرها[3]. قدرت نفقة هذه المدارس كل سنة بـ (3000) ليرة نصفها من أهل دمشق و النصف الآحر من الأجانب[4].

كما كان لليهود في دمشق(12) مدرسة صغيرة فيها(350) تلميذا، يدرسون مبادئ دينهم باللغة العبرية[5]. وكان في كلا من إقليم البلان ووادي بردى ودوما نحو(40) مدرسة ضمت نحو(1000) تلميذ[6].

أدى التوسع في إنشاء المدارس إلى زيادة عدد المتعلمين ، وارتفعت نسبتهم إلى 10% أوائل القرن العشرين بعد أن كانت 2% في منتصف القرن التاسع عشر[7].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض ، المرجع السابق، ص266.

[2] المرجع نفسه، ص 266.

[3] المرجع نفسه، ص267. نعمان القساطلي، المصدر السابق، ص 119.

[4] نعمان القساطلي ، المصدر السابق، ص 119.

[5] المصدر نفسه ، ص 120.

[6] عبد العزيز محمد العوض، المرجع السابق، ص 267.

[7] المرجع نفسه، ص269.

2- الطباعة والمكتبات :

ظهر حرص الدولة العثمانية على إقصاء المطبعة العربية عن ولاية سورية خلال منتصف القرن التاسع عشر، وبالضبط بعد خروج النفوذ المصري منها عام1840م، وكنتيجة لاهتمام إبراهيم باشا بخصوص تطوير نظم الإدارة وانفتاحه على الغرب، استقدم إلى دمشق مطبعة حجرية، بغرض طباعة المنشورات والأوامر العسكرية ومنذ ذلك الحين أدرك الدمشقيون أهميتها فقامت الدولة العثمانية بمصادرتها[1].

وفي سنة1855م قام حنا الروماني بتأسيس مطبعة أطلق عليها المطبعة الرومانية[2]، وقد طبع بها أول كتاب بدمشق وهو"أوراد الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي" سنة1864م، في ثلاث صفحات من القطع الصغيرة وكتب في خاتمته:" **وهذا أول كتاب طبع بدمشق المحمية بالمطبعة الرومانية في مدة خلافة تارج الملوك والسلاطين مولانا السلطان عبد العزيز خان أعز الله به المسلمين، في أيام ولايته فخر الموالي العظام السيد رشيدي باشا الشرواني حفظه الرب القريب الداني، آمين**"[3].

وفي السنة الموالية أي1865م قامت بطبع كتاب آخر تحت عنوان المزامير[4]، وبقيت تعمل هذه المطبعة إلى أن أنشأت الحكومة العثمانية في سنة 1864م أول مطبعة لها عرفت باسم" مطبعة ولاية سورية" لتطبع عليها أول جريدة في دمشق هي" **جريدة سورية**"[5].

ثم أنشأت مطبعة حكومية أخرى عرفت بـ:" المطبعة العسكرية" اقتصر عملها على نشر التقاويم واللوائح العسكرية، إلا أنها توقفت عن العمل وتحولت مهامها إلى مطبعة سورية وكانت تحت إدراة مصطفى أفندي واصف ما بين عامي(1878 ـ 1893م) [6].

---

[1] اسكندر لوقا: المرجع السابق، ص 51.

[2] ملف من إعداد فريق تحرير القافلة، الطباعة طبعت عصرنا، مجلة القافلة، ماي2003، ص 84.

[3] إياد خالد الطباع: بواكير الطباعة والنشر في بلاد الشام في العهد العثماني، مركز أبحاث للفن والثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، اسطنبول، دمشق، 2009، 2005، ص 192.

[4] محمد أحمد: الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876-1918م) ، مجلة جامعة دمشق مج27،ع1+2،2011، ص 323.

[5] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 52.

[6] المرجع نفسه، ص 52.

وفي سنة1893 م أنشأ خالد أفندي عطار[1] حسن مطبعة" روضة الشام"، ثم أنشا سليمان لطفي[2] المطبعة الحميدية" في سنة1898 م، لكن سيرورة عملها لم تدم طويلا، كما أنشا في السنة نفسها "المطبعة العلمية"[3].

وتعود أسباب قلة المطابع واضطراب أحوالها إلى الرقابة الشديدة التي قيدتها في إطار القانون الصادر سنة 1875 م، والذي يقضي بمراقبة المطبوعات والمطابع والكتب، هذه الأخيرة عهد بها إلى لجنة خاصة تتكون في داخل وزارة التعليم العام، وهذه اللجنة تسمى" مجلس المعارف الأعلى" و" مجلس المراقبة والتفتيش"، وبالنسبة لمفتشي المطابع والمكتبات تعينهم وزارة التعليم العام[4].

هنا يأتي سليمان البستاني ليصف لنا صفة المجلس ومهمته فيقول:" ... **خليط من كل أصناف الناس رفيعهم ووضيعهم عالمهم وجاهلهم ...ومنفى لأذكياء الشبان...تدفع إليهم الرواتب وبعضهم في الأستانة، وتختلف تلك الرواتب زيادة ونقصانا باختلاف منطوق الإرادة ونفوذ السلطة...ولقد شاهدت مرة شيخا... مقبلا إلى نظارة المعارف يتضح لناظره ومحادثه أنه لا يعرف من المعارف إلا اسمها، عين بإرادة سنية، عضوا لهذا المجلس براتب باهض، ولم يكن هذا المجلس خلوا من الأعضاء اللذين يرجى نفعهم في غير تلك الحظيرة، ولكن اقل تغاضي منهم عن الأوامر المنهالة عليهم الواحد تلو الآخر بشهر على رؤوسهم سيف النقمة**"[5].

وكان هذا المجلس لا يصادق على نشر أي كتاب أو تأليف قبل أن يعرض عليه لتصفحه وكنتيجة حتمية لخبرة أولئك الأعضاء فقد كانت تتعرض الكتب للتحريف و حذف بعض الصفحات، مما يخل بلحمة الكتاب[6].

---

[1] خالد أفندي عطار: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[2] سليمان لطفي: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[3] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 53. عبد الكريم اليافي، المرجع السابق، ص 36.

[4] شمس الدين الرفاعي: تاريخ الصحافة السورية اللبنانية من العهد العثماني حتى الاستقلال1800 ـ 1947، منشورات أسمار، باريس، 2006، ص 142.

[5] سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012، ص 37 ـ 38.

[6] المصدر نفسه، ص 38.

وعند صدوره يكون على كل صفحة ختم نظارة المعارف ويعاقب كل مؤلف إذ عدل في الكتاب بعد طبعه، والأدهى من هذا أن رخصة نشر الكتاب تستغرق مدة أطول من تلك الفترة التي قضاها الكاتب في التأليف[1].

وفي سنة1894م تم استصدار قانون جديد من طرف السلطان عبد الحميد الثاني، يقضي بالحد من حرية الطباعة والكتب والبائعين. وعززها بإقامة شبكة جاسوسية لتتبع نشاط الأحرار من العثمانيين والسوريين. ومن بين أهم الأوامر التي نص عليها قانون 1894م[2]، نذكر ما يلي:

– بالنسبة لافتتاح المطبعة لا بد في البحث فيما إذا كان طالب التصريح حكم عليه بحكم قضائي أولا، وأيضا التنقيب عن حياته الخاصة وعن توجهاته السياسية ومعتقداته الإجتماعية بغرض التأكد بأن ليس له أية أفكار تقدمية حديثية، وفي حالة ما إذا كان يكن العداء ولو بشكل بسيط لسياسة السلطان، عد هذا السبب كافيا لرفض طلبه بالتصريح لفتح مطبعة[3].

– تحويل ملف طالب التصريح إلى قسم إدارة البوليس من أجل البحث فيما إذا كان له سوابق.

– التوقيع على تعهد يتعهد بموجب طالب الرخصة بأن يمتنع عن طباعة مؤلفات ضارة ويضمن الوقوع في أي صفة جنائية ضد القوانين السابقة التي اقرها السلطان.

– عند وفاة مالك المطبعة، يتعين على الورثة اختيار مدير مسؤولا في خمسة أيام بعد وفاته وفي ظرف شهر يتوجب تعيين مدير رسمي للمطبعة، وإلا سيتم غلق المطبعة إلى حين يتم فيه اختيار مدير مسؤول توافق عليه السلطة وتعتمد عليه[4].

– عدم غلق أبواب الدخول بالمفتاح أثناء العمل، وفي حالة العثور على مكان آخر من المطبعة ورش أو مستودعات أو ملحقات لمطبعة مجاورة لها، و لا يجب أن يكون فيها مخارج أخرى كالأبواب والنوافذ، لأن هذا يساعد على الهروب من خلال هذه المباني والملحقات [5].

---

[1] سليمان البستاني، المصدر السابق، ص 38.

[2] شمس الدين الرفاعي ، المرجع السابق، ص 37 ـ 38.

[3] المرجع نفسه، ص 165.

[4] المرجع نفسه، ص 165.

[5] المرجع نفسه، ص 167.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يسهل مهمة المفتش في عملية التفتيش في كل وقت على المطابع والمخازن والورش، ولكي يتمكن من التفقد المخالفات والبحث عنها لكي لا يرتكب مخالفة ينص عليها هذا القانون[1].

- احتفاظ إدارة مكتب الصحافة بحق تسخير صاحب المطبعة كلما شاءت، بأن يزودها بالمعلومات بخصوص نوع وطبيعة أدوات الطابعة والآلات التي يستعملها، وفي هذه الحالة يضطر المالك بتقديم نسخ من المطبوعات لمختلف الحروف المطبعية المستعملة في مطبعته، فإذا رفض يتوجب دفع غرامة مالية قدرها5 ليرات تركية وبإغلاق مؤسسته[2].
- فيما يختص بالكتب والكتيبات، فلا يمكن لأي مؤلف أن يصدر بدون تصريح رسمي من وزارة التعليم العام، ويلزم تقديم خمس نسخ إلى الوزارة نفسها، ورفض المؤلف يعني التشكيك بلجنة الرقابة الموجودة في وزارة التعليم العمومية. وهذا سبب لعدم نشر أي كتاب يتناول الحياة السياسية أو التاريخية أو اجتماعية معاصرة.
- للناشرين حق الالتجاء أمام مجلس الدولة في حالة رفض وزارة التعليم العام التصريح إلا أن هذا كان حبر على ورق، فوزارة التعليم لا تخضع للرقابة من طرف مجلس الدولة[3].

- بالنسبة للكتب الأجنبية يلزم عليها تصريح من وزارة التعليم العمومية لكي تدخل المؤلفات البلاد العثمانية مثل: الكتب والكتيبات والرسوم، الصور، الميداليات، الشعارات المنقوشات والمسكوكات[4].

كل هذا يعرض على مصلحة الجمارك، من طرف موظفين خاصين ولهم أحقية مصادرة المؤلفات الآتي ذكرها:

- المؤلفات والمطبوعات التي تتناول الهجو والقدح، كذلك الكتب السياسية أو الكتب الدينية التي تحث العداء ضد السلطان ولمختلف الديانات والمعتقدات المعترف بها رسميا داخل البلاد.
- الرسوم والمخطوطات والمنقوشات المخالفة للآداب العامة والصور البذيئة[5].

---

[1] شمس الدين الرفاعي : المرجع السابق، ص 167.

[2] المرجع نفسه، ص 167.

[3] المرجع نفسه، ص 167- 168.

[4] المرجع نفسه، 168.

[5] المرجع نفسه، ص 168.

- يمنع دخول المطبوعات أي كانت طبيعتها في فترة محددة من قبل، عن طريق إعلان رسمي أصبح معلوما أمام الجميع[1] .
- الكتب الواردة من الخارج والتي حظرت يعاد إرسالها على حساب نفقة صاحبها، وإن لم يفعل يتم مصادرتها.

اعتادت الحكومة العثمانية بوضع قائمة لأسماء الكتب التي لا يمكن أن تدخل البلاد وتقدمها إلى الجمارك العثمانية[2].

هذه الإجراءات التضييقية من طرف الإدارة العثمانية حيال الكتب الأجنبية، كان الغرض منها الحد من دخول تلك الكتب والنشرات والصحف للاجئين العثمانيين في الخارج الذين قد استقروا في البلاد التي استضافتهم مثل فرنسا، مصر، سويسرا وأخذوا يصدرون مختلف أنواع الصحف والمجلات التي تناهض سياسة السلطان عبد الحميد الثاني[3].

ويمكننا القول أن المطبعة في دمشق، لم تعرف استقرار خلال فترة السلطان عبد الحميد الثاني وهذا راجع إلى سياسة التضييق والرقابة الشديدة ضد المثقفين، مما دفع ببعضهم إلى الهجرة إلى خارج البلاد ، ومع وجود تلك المطابع فإن أعمالها المنشورة كانت ذات مواضيع تقليدية إذ أنها لم تعط نظرة بعيدة للمستقبل بخصوص إحداث نهضة أدبية في البلاد.

- المكتبات:

يعد ظهور الطباعة في دمشق عام 1865م هو بداية لتكون المكتبات فيها، ونظرا لما لحق من ظروف أثناء إنشاء المطبعة جعل المكتبات بنوعيها العام والخاص، تفتقر إلى الكتب المطبوعة محليا[4].

ففي فترة ولاية مدحت باشا لدمشق، أظهر اهتمامه بالجانب التعليمي حيث قام بتأسيس جمعية من جلة علماء الحاضر وأكابر فضلائها، وكلفهم مهمة البحث عن الكتب والمكاتب وذلك بغية وضعها في مكان واحد، يكون ملاذا للباحثين والدارسين وطلاب المعرفة في وقت واحد[5].

---

[1] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 168.

[2] المرجع نفسه ، ص 168 ـ 169.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

[4] حبيب الزيات: خزائن الكتب في دمشق وضواحيها، مطبعة المعارف، مصر، 1909، ص 13.

[5] عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، 1960، ص 119.

أسس الشيخ الطاهر الجزائري سنة 1879م مكتبة الظاهرية وأخذ في جمع الكتب الموقوفة على المساجد في قبة الملك الظاهر بدمشق، وبذلك تألفت نواة المكتبة الظاهرية[1].

وقد فتحت المكتبة أبوابها في عهد الوالي أحمد حمدي باشا[2] عام1879م، طبقا للتقرير الذي رفعته إليه الجمعية الخيرية في15أوت من نفس السنة، وقد أحصيت المكاتب التي ضمت في هذه الخزانة وأخذ منها مجموع كتبها الموقوفة فكانت عشرا.نذكر منها ما يلي[3]:

- المكتبة العمرية نقل موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 614مجلدا.
- مكتبة عبد الله باشا العظم نقل موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية438 مجلدا.
- مكتبة سليمان باشا العظم نقل موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية313مجلدا.

وخلال عام 1900م وصل عدد محتويات المكتبة إلى3566كتابا.

ومن خلال هذا المحتوى يمكن وصف ملامح الحياة الفكرية في دمشق في تلك الفترة[4]:

المضمون	المخطوط	المطبوع	الإجمال
القران الكريم	06	06	12
علم القران	60	05	65
التفسير	166	55	221
الحديث	135	1	136
فقه الحنفية	174	133	307
فقه الشافعية	429	12	441
فقه الحنبلية	83	-	83
فقه المالكية	11	11	22
أصول الفقه	99	19	118

[1] إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 227.

[2] أحمد حمدي باشا: لم توفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[3] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 58.

[4] المرجع نفسه، ص 58 ـ 59.

الفرائض	20	07	27
التوحيد	76	16	92
التصوف	173	56	229
اللغة	57	32	89
النحو والصرف	183	48	231
المعاني والبيان	36	08	44
البديع	25	07	32
المنطق والآداب	62	20	82
السيرة النبوية	133	114	247
التأريخ	34	57	91
الأدبيات المنثورة	08	21	29
الأدبيات المنظومة	39	58	97
الجغرافية	01	09	10
الطب	02	17	19
الكيمياء			
الحكمة الطبيعية			
الحساب			
الهيئة			
الهندسة			
الزراعة			
تعبئة الجيش			

[1] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 58 ــ 59.

الملاحظ من الجدول أن العلوم التقليدية أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام في تلك الفترة وهذا ما جعل الفكر تقليدي، وهذا يعود إلى ترك الدولة العثمانية للحياة الفكرية في أيدي أصحابها من طبقة المفكرين هذا من جهة، ومن جهة لم يكن للعلوم العقلية رواج أو اهتمام كبير فكانت قليلة هي مصادرها في المكتبة، مقارنة برصيد العلوم النقلية.

وما يؤكد هذا الوضع هو ما جاء به قانون عام1865م والذي جاء فيه:" ...**لا يطبع من الكتب إلا ما يحق حظره على المستبدين من الحكام والولاة فكانت كتب الفقه والأوراد والأدعية تروج وحدها في أنصاف المتعلمين ويشجعها المعمون. فلا يلم الناس بكتب الرياضيات والطبيعيات والفلسفة والحكمة والأخلاق ولا يقرؤون كتب الحقوق والواجبات لان ذلك يثير المشاكل القائمة ويحرك الأفكار الغافلة، ويخلق المتاعب وينير العقول**"[1].

أما بخصوص مكتبات الكنائس والأديرة فلم يشهد قبل سنة1900م، في دمشق سوى ثلاث مكتبات في ثلاث أديرة: دير الآباء الفرنسيسكان، دير الآباء المرسلين اللعازريين، دير الآباء اليسوعيين، وفي كل منهما مكتبة بها حاجة الرهبان فقط، ويعود هذا العوز إلى حوادث سنة 1860م الذي نتج عنها إتلاف وحرق محتوياتها ولم تقم أي مبادرة لإعادة إنشاءها خشية وقوع حوادث دينية أخرى مماثلة لسنة1860م[2].

[1] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 109.

[2] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 60.

3- الصحافة:

أثرت الصحافة في الحياة الثقافية في دمشق، ففي عهد إبراهيم باشا ظهرت عدة صحف مثل" تقويم وقائع" وصحف عربية في اسطنبول منها "مرآة الأحوال"، و"السلطنة"، ولقد نالت هذه الصحف إعجاب الشوام خاصة صحيفة "الوقائع المصرية". التي يصدرها محمد علي باشا في مصر. أما القساوسة المبشرون الأمريكان فقد أصدروا في سوريا صحيفة مجموع الفوائد التي استمرت إلى عام1855 م[1].

وفي منتصف القرن التاسع عشر عرفت بلاد الشام نشاط إعلامي حيث ظهرت عدة صحف دورية ويومية. مثل "حديقة الأخبار" لمحررها خليل الخوري[2] ظهرت سنة 1858 م، وخوفا من الاضطرابات في البلاد العربية عمدت الدولة العثمانية إلى إصدار قوانين تنظيمية للصحافة ففي سنة 1864م اصدر السلطان عبد العزيز أول قانون للصحافة عرف باسم نظام المطابع والمطبوعات وبدا العمل به في كافة الولايات العثمانية، حيث كان اثر تطبيق هذا القانون ظاهر في دمشق أكثر من حلب وبيروت[3].

غير أن دمشق لم تشهد ما شهدته حلب وبيروت، وذلك يعود لاهتمامها بالدراسات الإسلامية والتاريخ والتراجم والأدب، ولهذا كانت متأخرة في مجال الصحافة على غرار حلب وبيروت اللتان قد هيأتا جيل من الصحافيين للعمل بهما في الداخل والخارج[4].

---

[1] فريدة شرفة، المرجع السابق، ص 58، محمد أحمد، المرحع السابق، ص 319.

[2]خليل الخوري: هو خليل بن جبرائيل بن يوحنا بن ميخائيل بن عبده الخوري ولد عام 1836، بالشويفان من أعمال لبنان ، تلقى تعليمه بمدرسة الروم الأرثوذكس، امتهن الصحافة أنشأ صحيفة حديقة الأخبار سنة 1858م برخصة رسمية من طرف الحكومة العثمانية.في 186م فوضت إليه إدارة ولاية سوريا و إدارة مطبعتها و جريدتها الرسمية بإرادة سلطانية ، توفي عام 1907م .انظر: ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص 227-228.

[3] محمد أحمد، المرجع السابق، ص 319.

[4] المرجع نفسه، ص 319.

ومع ذلك كان صدور أول صحيفة في ولاية دمشق، عرفت باسم"سورية"[1]وهي جريدة أسبوعية رسمية ظهرت في 19نوفمبر 1865م بعناية أسعد مخلص باشا والي سورية[2].

وظهرت في أربع صفحات كبيرة نصفها تركي يكتب بقلم"مكتوبي الولاية السورية"، والنصف الآخر عربي تولى مهمة تحريره كل من أديب نظمي[3] ومحمد علي كرد[4].

وقد تخصصت الجريدة بنشر أوامر الحكومة والإعلانات الرسمية ،من بين أهم القوانين الإداية التي نشرت في هذه الصحيفة نذكر:نظام تحصيل الأموال الأميرية، قانون أخذ العسكر، قانون المعارف، البريد ، قانون الأبنية[5]،وأول من رتب أحوالها ونظم مطبعتها بأمر من الإدارة السلطانية الصحفي خليل خوري، هذا الأخير استطاع تنظيم شؤونها بعد أن تخرج على يده بعض العلماء الماهرين، كان آخر من تولوا إدارتها مصطفى واصف[6] [7]،استمرت في الصدور كجريدة وحيدة في سوريا حتى سنة 1879م[8].

وهكذا استفادت الصحافة من قانون المطبوعات الذي أصدره السلطان عبد العزيز عام1865 م وتمتعت بحرية تكاد نسبية ونشط حملة الأقلام وبرز دورهم في توجيه الحكم وبث روح الثقافة الجديدة في دمشق، ولكن سرعان ما صدر إعلان خاص عام1867 م[9].

---

[1] ميسون منصور عبيدات : الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الإدارية في ولاية سورية في مرحلة التنظيمات العثمانية 1864-1918،حوليات آداب عين الشمس،جويلية 2009،ص 205.

[2] أسعد مخلص باشا: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[3] أديب نظمي(ولد1337هـ/ ت1918م) هو أديب نظمي الطناحي المصري الدمشقي ولد في دمشق وتوفي فيها، تلقى تعليمه في دمشق، وعمل محررا في الصحف الصادرة في زمنه" دمشق" و" الشام" وحرر القسم العربي من جريدة" سورية"، تولى رئاسة كتاب محكمة الاستئناف العثمانية في ولاية سورية. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين19 و20 ـ تاريخ الاطلاع على الرابط20 ماي2019، 6:20 – arg – almoajam – www.

[4] محمد أحمد، المرجع السابق، ص 319.

[5] ميسون منصور عبيدات، المرجع السابق، ص208 .

[6] مصطفى واصف: لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[7] الفيكونت فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص 67.

[8] ميسون منصور عبيدات المرجع السابق، ص 205.

[9] للمزيد انظر: شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص87، ماري ملز باتريك: سلاطين بني عثمان الخمسة، تر: مركز المؤسسة ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2011، ص 90.

نص على احتفاظ الباب العالي بموجبه لنفسه عن سلطة القانون ضد الصحف التي ترفض المبادئ التي يجب أن تلتزم بها، وكان هذا الإعلان نتيجة تعاظم دور الصحافة في انتقاداتها الموجهة للحكومة العثمانية[1].

ومع اعتلاء عبد الحميد الثاني سدة الحكم سنة 1876م[2]، ذهب إلى فرض وجهات نظره، أين أنهى حرية الصحافة وذلك بإصدار مجموعة من القوانين، ولقد جاء في نص القانون الصادر في02 مارس1877م بموجب نص المادة 113 كالآتي:" ...**وكل صاحب جريدة أو غيرها. إذا نشر شيئا من شأنه الإخلال بالأمن والسلم، تعطيل جريدته، ويمنع اجتماع الناس في الشوارع**"[3].

ومن منطلق هذا القانون، أصدرت إدارة المطبوعات هي الأخرى بيانا قضى بتعطيل أحكام نظام المطبوعات واتخاذ القاعدة الجزرية في2 مارس1877 م وهذا ما جاء في نص الإعلان:" **بما أن الدولة العلية في حالة حرب[4] كان لها أن تعطل أحكام نظام المطبوعات...إلى حين صدور أمر جديد، وكذلك قر قرار الباب العالي على اتخاذ قاعدة الأصول الجزرية التي هي عبارة عن تعطيل أوراق الحوادث التي تطبع وتنشئ في الممالك المحروسة السلطانية أو عن إلغائها أيضا بالكلية لدى الصحف الإيجاب دون محاكمة فبادرنا بموجب الأمر العالي لإعلان الكيفية**"[5].

ومن هذا نستنتج أن الصحافة في هذه الفترة سلط عليها سيف الرقابة، وذلك بسبب توتر الأوضاع الخارجية للدولة العثمانية، لذا لجأت إلى تقييد حرية الصحافة مخافة انتشار الاضطرابات في الولايات العربية وخاصة دمشق.

---

[1] محمد أحمد، المرجع السابق، ص 320.

[2] سليمان جوقة باشا: السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته، تر: عبد الله احمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 54.

[3] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 116، سليم فارس: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، مطبعة الجوائب، الأستانة العلية، (د.ت)، ص 316.

[4] يقصد بها الحرب الروسية العثمانية عام1877م انتهت بعقد معاهدة بين الطرفين سميت بـ: معاهدة سان ستفانو3مارس1878. للمزيد انظر: محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار النشر والتوزيع الإسلامية، مصر، 2001، ص 410 ـ 414.

[5] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 117.

كما ازداد تجسس عليها فضلا سطوة الرقيب(المكتوبجي) المكلف من طرف إدارة مكتب الصحافة الداخلي[1]، هذا الأخير كان يتمتع بأحقية إصدار التصريحات وإصدار الصحف أيضا بالإضافة إلى مهمة أخرى وهي مراقبة الصحافة الأجنبية الصادرة في الخارج من قبل رعايا أجانب يوكل بمراقبتها إلى إدارة مكتب الصحافة الأجنبية التابعة للوزارة الخارجية[2].

أدى هذا الوضع إلى أمرين في آن واحد، هما عزوف المثقفين في دمشق عن تأسيس الصحف وهجرتهم إلى لبنان ومصر وكذلك شدة الرقابة[3] وهذا بإصدار قانون يسعى إلى كبت الحريات الفردية والحريات الصحفية وكان في3جانفي1888م أكدوا دعم نظام الرقابة على الصحف المطبوعة في الخارج والتي تدخل إلى البلاد العثمانية والولايات العربية[4].

ومن بين ما فرضته الرقابة من تعليمات ما يلي[5]:

- يجب على الصحف أولا إعلام الشعب عن صحة السلطان، ثم تطرق بعدها بالكتابة حول الزراعة والرقي التجاري والصناعة.
- لا يجوز نشر أي مقال أو خبر قبل أخذ موافقة وزارة المعارف ويستثنى من ذلك القضايا التي تتعارض مع الوجهة الاجتماعية.
- يمنع نشر المقالات الطويلة لأي موضوع أخلاقي أو اجتماعي.
- يمنع استعمال عبارة "البقية تأتي" أو "يتبع" أو "للبحث صلة" أو البقية في العدد "القادم" أو أي إشارة إلى أن المقال غير كامل.
- يمنع ترك فراغ في الجريدة أو استعمال نقط بدلا من فقرات حذفتها الرقابة لأن ذلك يعد تشويشا ويفتح مجال للتأويل في أواسط الرأي العام.

---

[1] إدارة المكتب الصحافة الداخلي: ظهر سنة1878 م، وهو تابع لوزارة الداخلية وظيفته مراقبة الصحف في داخل وخارج الدولة العثمانية.، وكذلك الإصدار. انظر: شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 134 ـ 144، خليل أحمد: موسوعة إعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 183.

[2] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 134.

[3] محمد أحمد، المرجع السابق، ص 320، انظر: أنور الجندي: تطور الصحافة العربية في مصر، مطبعة الرسالة، (د.ب)، 1967، ص 21.

[4] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 150.

[5] سليمان جوقة باشا، المرجع السابق، ص 27 ـ 30، شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، 146 ـ 147.

- لا يجوز انتقاد الشخصيات الكبيرة الرسمية، بل يكتفي انه توفي إلى رحمة الله[1].
- لا يجوز نشر أنباء عن ما يحدث من ثورات أو انتفاضات في داخل السلطة
- لا يجوز نشر أخبار أية هزائم أصابت جيش السلطنة
- لا يجوز نشر أسماء أعداء السلطان والإشارة إليهم[2].

ومما زاد في الحد من انتشار الصحف نظام الضريبة المفروضة عليها والمعروف باسم "الطمغة" وهي أن يدفع عن كل عدد من أعداد الصحيفة الصادرة " بارتان " ولم ترفع هذه الضريبة إلا عام 1901[3].

كانت هذه الإجراءات التعسفية في حق الصحفيين والصحافة كافية إلى الهجرة لبلدان أخرى أكثر حرية، وهذا ما جعل دمشق في هذه الفترة دون صحافة.

أما الصحيفة الثانية التي تأسست في دمشق سنة1878م والتي أخذت اسم "دمشق" لصاحبها أحمد عزت باشا العابد[4] [5]، وهي جريدة أسبوعية سياسية ناطقة باللغتين التركية والعربية، وقد نشر على صفحاتها فصولا كثيرة أشار فيها إلى مآثر العرب ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم ثم احتجبت بعد صدورها بأربعة أشهر[6]، ولما أسند منصب الولاية إلى مدحت باشا سنة1879م أوعز إلى أحمد عزت باستئناف نشرها لميل مدحت باشا التحرري[7].

---

[1] سلطان البستاني، المصدر السابق، ص 27 ـ 30، شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 147.

[2] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 147.

[3] محمد عصفور سلمان الأموي، المرجع السابق، ص 302.

[4] أحمد عزت باشا العابد: هو بن محي الدين بن الهول عمر أغا ين عبد القادر أغا بن محمد أغا العابد وينتمي إلى عشيرة عربية بقبيلة الموالي وهي تنتسب إلى القبائل الحجازية وتسكن بادية الشام، ولد احمد عام 1855 م بدمشق، وتعلم هناك، تقلد عدة مناصب منها عضو دائرة التنظيمات في اللجان المالية وعين رئيسا للجنة المهاجرين للدولة العثمانية ومن ثم عينه السلطان عبد الحميد الثاني أمين سره، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1908 م، انظر: فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ج2، ص 215 ـ 221.

[5] ميسون منصور عبيدات ، المجع السابق، 205-206.

[6] فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ج1، ص 198.

[7] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 120.

وعهد إلى أحمد أفندي بكتابة قسمها التركي لإتقانه قواعد اللغة العثمانية، أما القسم العربي من الجريدة فتولى كتابته سليم بك عنحوري[1]، الذي كان محرر مقاولات مركز الولاية نشر فيها المقالات السياسية والعمرانية تعزيز أركان الدستور[2].

وفي أثناء ذلك انظم أحمد عارف بك بن الملا نوار الله قاضي دمشق إلى صاحب الامتياز فاشتركا معا في إدارة هذه الجريدة، ثم انتقل تحريرها بعد سنة إلى يد أديب نظمي ومصطفى واصف، ولما أخذ أحمد عزت باشا يتقلب في مأموريات السلطنة خارجا اضطر إلى إهمال مصلحة الجريدة التي صارت تصدر بلا انتظام إلى آخر عهدها في1887 م[3].

بالنسبة للمجلات فقد ظهرت مجلة نصف شهرية في غرة ديسمبر1886م لصاحبها سليم وحنا عنحوري[4]، وهي" مرآة الأخلاق" كانت على أن تنشر على شكل كتاب يتألف منه في آخر السنة24 جزء وكل جزء فيه24 صفحة صغيرة كانت تصدر دون امتياز من الحكومة[5].

وكانت تتألف من قسمين الأول عبارة عن روايات غرامية وآداب والثاني منوعات من كل حدب وصوب[6]، ويتجلى هذا في تصريح صاحبها في فاتحة مقال:" **أحداهما روايات تتجاذب طرفي الغرام والأدب وتأخذ بناصيتي الفكاهة والعلم، والثاني يخوض كل عباب ويبحث في كل ركان وتراب**"[7].

وبعد صدور العدد الأول منها حجزت عليها الحكومة نتيجة وشاية أن صاحبها يتحدى القرآن الكريم في مقالاته غير أن صاحبها ـ سليم عنحوري ـ برئ من تهمة الموجهة إليه هذا من جهة، ومن جهة أخرى شدة المراقبة حالت دون استئناف إصدار المجلة[8].

---

[1] سليم بك عنخوري: منشئ مجلة الأخلاق ومحرر الصحف" دمشق" " المشكاة"، ومؤسس جريدة" مرآة الشرق" ومجلة" الشتاء" في القاهرة، وكاتب المقالات العديدة في أشهر الجرائد العربية، انظر: فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ج1، ص 199.

[2] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 120.

[3] فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص 199.

[4] حنا عنحوري : لم تتوفر ترجمته في المادة العلمية التي بين أيدينا.

[5] المصدر نفسه، ص 199.

[6] محمد احمد، المرجع السابق، ص 321.

[7] فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص 321 .

[8] محمد احمد، المرجع السابق، ص 321، انظر: فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص 200.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر صدرت صحيفة اسمها "الشام" سنة1896م لصاحبها مصطفى واصف[1] و هي صحيفة ناطقة بالغتين العربية والتركية وتمتعت بامتياز يومي إلا أن بعد تداولها لسنتين أخذت تصدر أسبوعية يوم الثلاثاء فقط[2].عرف عنها أنها كانت موالية للولاة والحكومة والسلطان ولكنها لم تداوم الإصدار توقفت عام 1908 م[3].

[1] أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص 208.

[2] شمس الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 190 ـ 208.

[3] المرجع نفسه، ص 191.

وفي الأخير نستنتج الأتي :

-أن التعليم الحديث في دمشق كان له النصيب الأكبر من اهتمام الدولة العثمانية في ظل الإصلاحات الساري تطبيقها .

- تم تقسيم التعليم إلى مراحل، و كانت اللغة الرسمية المفروضة هي اللغة التركية.
- شمل التعليم كافة أطياف المجتمع مسلمين و غير مسلمين على حد سواء.
- مساهمة الإرساليات التبشيرية في نشر التعليم .
- عرفت الطباعة تضييق واسع لذا كان نشاطها محدود.
- بالنسبة للمكتبات تم تأسيس مكتبة الظاهرية بتشجيع من الوالي مدحت باشا و مجموعة من العلماء المستنيرين، ساهمت في الحفاظ على التراث الفكري.
- أما الصحافة هي الأخرى شددت عليها الرقابة، و سلطت عليها العديد من القوانين التي قيدت حريتها، مما أفضى إلى هجرة العديد من الصحفيين إلى بلدان أكثر حرية.

الخـــــــاتـــــــمـــــــــة

– في ظل الإصلاحات العثمانية منذ 1839م إلى غاية إعلان الدستور سنة 1908م، كانت دمشق من بين المدن التي عرفت تطبيق سريع وشمولي لهذه الإصلاحات ، مست جميع جوانبها وهذا يعود إلى موقعها الاستراتيجي القريب من العاصمة اسطنبول ، هذا بالإضافة إلى تطبيق الدولة العثمانية نظام مركزية الحكم.

–عرفت دمشق تنوع و اختلاف في فئات المجتمع ن فقد احتل المسيحيون الوظائف الحكومية بشكل واسع نتيجة الامتيازات التي منحت لهم ، ثم انضم العرب مؤخرا.

–ظهور طبقة مثقفة حاولت الاقتباس من الغرب ما يتوافق مع الشريعة الإسلامية و نبذ كل ما يتعارض معها ، رافضة حالة الجمود التي تعاني منها الحياة الفكرية في دمشق.

–انهيار التنظيم الحرفي نتيجة المنافسة الأوروبية ، فقد لجأ العديد من الصناع و الحرفيين إلى الزراعة و التجارة ، ليس هذا فقط بل إلى زوال بعض الصناعات و هذا لطغيان منتجاتها الأوروبية في السوق المحلية.

–حظي أهل الذمة بامتيازات واسعة فتقلد المسيحيون مراكز مهمة في سلطة الولاية ، أما اليهود فبرعوا في الصرافة و النقد و التجارة و الربا، فكانوا على قدر كبير من الثراء، وكان لهم أثر سلبي على الفلاحين حيث استغلوا ظروفهم المادية ،صادروا ممتلكاتهم في حال من لم يسدد الدين في أجاله المحدد ة.

–ظهر فئة جديدة في المجتمع الدمشقي – طبقة البرجوازيين –هم مزيج من المسيحيين اليهود العرب، حاملي البراءة السلطانية، استفحل نشاطهم في الجانب الاقتصادي وازداد عددهم في القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، تمتعوا بامتيازات واسعة نظرا للحماية التي يلقونها من الجاليات الأوروبية.

–كان لهم دور أساسي في تراكم الديون على خزينة الولاية إذ كانوا يقترضون من مصادر أوروبية بفائدة منخفضة، وبعد ذلك يقومون بإعادة إقراضها بفائدة محلية مرتفعة، و أكثر من تأثر هم الفلاحون لأنهم كانوا أميين على عكس المتفرنجين.

-بفضل الإصلاحات التي ذهبت الدولة العثمانية إلى تطبيقها استطاعت تطبيق السياسة استصلاح الأراضي الزراعية التي هدف توطين البدو و تحويلهم إلى مجال الزراعة و تربية الحيوانات أثر هذا على نشاطهم الاقتصادي و ذلك لدورهم الفعال في تمويل قوافل الحج و القوافل التجارية

-عرف البدو احتكاك بالقناصل الأوروبيين إذ قدمت لهم الحماية فقويت سلطة شيوخهم و زعماء عشائرهم، فانتعشت تجارتهم من جهة، وازداد تسلطهم على المزارعين المجاورين و الفلاحين، ففي بداية القرن العشرين تحول إلى استغلال مباشر، وأصبحوا ملاك أراضي.

-أفضى تعدد الطوائف في دمشق غلى تنوع في العادات و التقاليد فقد كان لكل طائفة سواء المسلمون أو المسيحيون أو اليهود طقوس خاصة في ممارسة احتفالاتهم العائلية سيما وجود بعض التمازج في هذه العادات.

-باعتبار دمشق مركز تجاري مهم حظيت بشرف تنظيم قافلة الحج الشامي، وهذا لوقوعها على أقصر طريق دولي قديم.

- تميزت أسواق دمشق بالخصخصة كل حسب منتجاتها و عرفت اهتمام من طرف الولاة حيث وسع فيها كسوق الحميدية و أخرى شيدت جديدة كسوق مدحت باشا.

- بالنسبة للمقاهي عرفت انتشارا واسعا إذ اعتبرت مكان اجتماع الناس من كل الطوائف طلبا للراحة و التسلية.

-في الجانب الثقافي بداية القرن التاسع عشر كان هناك نوع من الركود العلمي و هذا راجع لطبيعة مثقفي دمشق في تلك الفترة بالإضافة إلى تغاضي الدولة العثمانية عن الجانب التعليمي حيث تركته لأصحابه من العلماء إلا أنها وبعد خروجها من دوامة الحروب مع المناطق الانفصالية ، تفطنت إلى مواكبة النهضة الفكرية .

- و في ظل تشجيع الدولة العثمانية للحركة التعليمية حظيت مدينة دمشق بولاة كان لهم الدور البارز في نشر التعليم ،كالوالي مدحت باشا ، الذي أنشأ إدارة خاصة للمعارف للإشراف على المدارس ، و كذلك دعم العلماء في مشاريعهم الهادفة نحو الارتقاء بالتعليم في مدينة دمشق .

-بالنسبة للطباعة و المكتبات و الصحافة كان لهم حضور نسبي، إلا أنها عرفت تضييق واسع من طرف الدولة العثمانية جراء القوانين التي سنتها تلو الأخرى، وبلغ بها الحد إلى الاستعانة بجهاز الجاسوسية لتعزيز الرقابة على نشاطها خاصة تلك التي لها ميول سياسي. و هذا خوفا من تفشي الروح القومية و المطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية.

الملاحق

الملحق رقم (1):

نهر بردى بدمشق.[1]

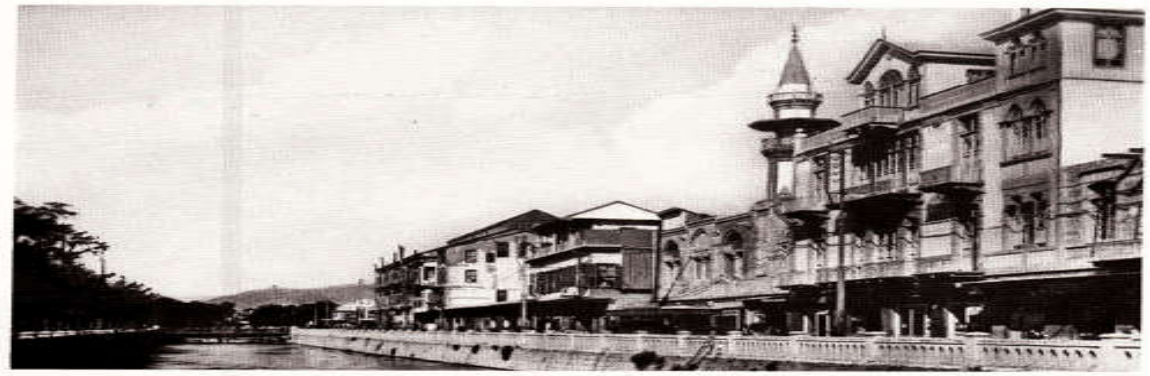
دمشق - نهر بردى

[1] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص 224.

الملحق رقم (2):

مراسيم وداع المحمل الشريف 1894م[1].

[1] عبد العزيز العظمة ، المصدر السابق، ص 125.

الملحق رقم (3):

موكب المحمل الشريف في دمشق سنة 1894م[1].

[1] عبد العزيز العظمة، المصدر السابق، ص 125.

الملحق رقم (4):

أهم المطابع في دمشق من 1856 إلى غاية1908 م[1].

اسم المطبعة	المؤسس وسنة تأسيسها
المطبعة الرومانية	أسسها حنا الروماني سنة1855
المطبعة الحنفية	محمد الحنفي 1882
مطبعة ولاية سورية	أسستها الحكومة سنة 1864 بإدارة مصطفى أفندي واصف
المطبعة العسكرية	أسستها الحكومة بإدارة مصطفى واصف
مطبعة حبيب أفندي أبو خالد	سنة1880
مطبعة نهج الصواب	منذ 1882
المطبعة الخيرية	أسستها جمعية انتشار العلوم سنة 1880
مطبعة مجلس معارف سورية	سنة 1881
مطبعة روضة الشام	أسسها خالد أفندي عطار حسن سنة 1893
المطبعة الحميدية	أسسها سليمان لطفي سنة 1898
المطبعة العلمية	أسسها محمد أفندي هاشم الكتبي 1898

[1] اسكندر لوقا، المرجع السابق، ص 54.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر باللغة العربية:

- ابن شداد: عز الدين محمد: الأعلاق الخطير في ذكر أمراء الشام و الجزيرة(تاريخ مدينة دمشق)،تح: سامي دهان،المطبعة الكاثوليكية ،1956.
- ابن عساكر، تاريخ دمشق ،فضائل الشام و خطط دمشق ، تح: روحية النحاس و آخرون، دار الفكر ، سورية، ج1، 1984.
- ابن كنان محمد بن عيسى لصالحي الدمشقي : المواكب الإسلامية، تح:حكمت إسماعيل ، مرا: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،ج2 ،1993.
- بدران عبد القادر: منادمة الإطلال ومسامر، الخيال، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، 1960.
- سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012.
- سوفاجيه جان: دمشق الشام، تح: أكرم حسن العلبي، تع: فؤاد أفرام البستاني، الوراق، 1989.
- الصيادي محمد عز الدين عربي كاتبي : الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، مطبعة المقتبس،دمشق،1911.
- الطنطاوي علي : دمشق صور من جمالها: وعبر عن نضالها، دار المنار، السعودية، ط2، 1997.
- العظم خليل و آخرون: قاموس الصناعات الشامية، تح و تق:ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر،دمشق،ج2.(د، ت).
- العظمة عبد العزيز: مرآة الشام تاريخ الشام وأهلها ، تح: نجدة فتحي صفوة، رياش الريس، لندن،1987.
- علي محمد كرد: خطط الشام،المطبعة الحديثة ، دمشق،ج6 ، 1925 .
- ــــــــــــــ: دمشق مدينة السحر والشعر، **مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،** 2012.
- فارس سليم: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، مطبعة الجوائب، الأستانة العلية،(د.ت).

- فيليب دي طرازي الفكونت : تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913.
- القانون الأساسي: المطبعة الأدبية، بيروت، 1908.
- القساطلي نعمان : الروضة البهية في فضائل دمشق البهية، مطبعة المقتبس،1330هـ.
- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،صح وعل:محمد كمال،دار القلم العربي، حلب،ط2،ج3، 1988.
- مدحت باشا: مذكرات ، تعر: يوسف كمال بك حناته، مطبعة أمين هندية، مصر، (د.ت).

ثانيا–المراجع باللغة العربية:

الكتب باللغة العربية:

- أبو جبل كاميليا: يهود اليمن ، دار النمير ، سورية ،1999.
- أوبنهايم فون ماكس : من البحر المتوسط إلى الخليج لبنان و سورية، تر: كبيلو، مرا .تق:ماجد شبر، دار الوراق للنشر، لندن، 2008 .
- أوغلي إحسان أكمل الدين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1990.
- الجندي أنور: تطور الصحافة العربية في مصر، مطبعة الرسالة، (د.ب)، 1967.
- جوقة باشا سليمان: السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته، تر: عبد الله احمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.
- الحزوري عباس حسام الدين: الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية(648هـ -1250م/784هـ - 1383م)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2011.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مكتبة النهضة، بيروت، القاهرة، ط14، 1996.
- حنا عبد الله: حركات العامة الدمشقية ، دار ابن خلدون ، بيروت، 1985.
- الخضري بك محمد: الدولة العباسية، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة،2003.

- الخطيب محمد: بلاد الشام في العهد العثماني،دار مؤسسة رسلان ، دار علاء الدين ، دمشق،2018.
- خليل إبراهيم أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني1516– 1916م، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة موصل، العراق، 2005.
- الدقن حسن محمد: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، كلية اللغة العربية، القاهرة، 1979.
- ديوب بسام: المحمل و قافلة الحج الشامي.(د،د،ن)،(د،ب،ن)،(د،ت).
- الرفاعي شمس الدين: تاريخ الصحافة السورية اللبنانية من العهد العثماني حتى الاستقلاق1800 ـ 1947، منشورات أسمار، باريس، 2006.
- ريمون أندريه: المدن العربي الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع،القاهرة، 1991،
- الزيات حبيب: خزائن الكتب في دمشق وضوح، مطبعة المعارف، مصر، 1909.
- زيادة نقولا: أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت،1994.
- سركو دكران ماري : دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876–1908م، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق ، 2010 .
- السيد محمود سيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية (النشأة و الازدهار)، مكتبة الآداب، القاهرة 2010.
- شعبان إبراهيم وآخرون: اللغة العربية في تركيا، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، 2016.
- شلبي عبد الجليل: الإرساليات التبشيرية، منشاة المعارف، الإسكندرية، (د، ت) .
- الشلق زكريا أحمد : العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 ـ 1916، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
- شيلشر ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، تر :عمر الملاح،دينا الملاح ، مرا: عطاف ما رديني، دار الجمهورية بيتموني و شركاه، دمشق ، 1998،

- الصلابي محمد محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار النشر والتوزيع الإسلامية، مصر، 2001.
- صياغة نايف : الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، وزارة الثقافة دمشق،1995.
- عبده سمير: الطوائف المسيحية في سوريا نشأتها تطورها تعدادها، منشورات دار حسن ملصد، سوريا ،2003.
- العلبي أكرم : يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق 1583–1909م، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق 2011.
- علوش ناجي: الحركة العربية القومية في مائة عام، 1875 ـ 1982، دار الشروق، الأردن، 1997.
- علي: تاريخ بلاد الشام: دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ط3، 1994.
- عنجريني محمد : فارس الخوري الوطنية . العروبة . الإسلام ، دار عمار ، الأردن ، 2014،
- عيسى عبد الرزاق عبد الرزاق: التنصير الأمريكي في بلاد الشام1834– 1914، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.
- كوثراني وجيه: الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في حيل لبنان والمشرق العربي 1860 ـ 1920، معهد الاتصاء العربي، بيروت، 1986.
- ـــــــــــــ: السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988.
- ـــــــــــــ: بلاد الشام في مطلع القرن العشرين السكان و الاقتصاد و فلسطين والمشروع الصهيوني قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، ط3، 2013.
- لوقا اسكندر: الحركة الأدبية في دمشق 1800–1918، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2008.

- محي الدين زكريا حازم: الشيخ طاهر الجزائري 1852–1920 رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث ، دار البشير،جدة،2001.
- مروة أديب: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960.
- مصطفى محمود نادية: الدولة الأموية دولة الفتوحات 41ـ136هـ/661 ـ 750م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ج8، 1996.
- ملز باتريك ماري: سلاطين بني عثمان الخمسة، تر: مركز المؤسسة ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2011.
- النايف حسام: لواء إسكندرية حكاية وطن سلب عنوة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2013.
- النجار موسى جميل : الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
- نعيسة جميل يوسف: مجتمع مدينة دمشق 1772–1840، دار طلاس، دمشق،ج1ج2،1986
- نعيسة يوسف جميل: يهود دمشق ، دار المعرفة ،دمشق ، 1988.
- النفزاوي ناصر محمد: محمد كرد علي المثقف وقضية الولاء السياسي، دار الجنوب للنشر ، تونس،1993.
- هنداوي محمد سهام: تاريخ دمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، دار مؤسسة رسلان للطباع و النشر و التوزيع ،دمشق،2012.
- ياغي أحمد إسماعيل: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكات الرياض، 1995.
- ياغي مصطفى غزوان : المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية في سورية، منشورات المنظمة الإسلامية الأثرية والعلوم والثقافة، الرباط، 2011.

الرسائل الجامعية:

- بعيو غانية: التنظيمات العثمانية و آثارها على الولايات العربية الشام و العراق نموذجا 1839-1876،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ،2008-2009.
- الرحال خليل أماني :طريق الحج و عمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية (دراس تاريخية و مقارنة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية ،قسم تاريخ و نظريات العمارة ظن كلية الهندسة المعمارية ،جامع دمشق ،2015.
- سلمان عصفور محمد الأموي: حركة الإصلاح في الدولة العثمانية و أثرها على المشرق العربي 1839-1908، أطروحة دكتوراه في فلسفة التأريخ، قسم التاريخ . الدراسات العليا، كلية الآداب جامعة بغداد، غير منشورة، 2005، ص 268-269.
- شرفة فريدة: العلاقات بين الخلافة العثمانية وبلاد الشام إثناء الحكم السلطان عبد الحميد الثاني1876 ـ 1909، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 01، 2016،
- المصري عدنان: تأثر حركة نقل الركاب بالتوسع العمراني في مدينة دمشق، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 2014 ـ 2015.
- المضيان صالح ماجد: أثر أهل الذمة الفكري في الدولة في الفترة (1530-1924م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير ،كلية الدعوة و أصول الدين ، قسم العقيدة، فرع الدراسات العليا ، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة، 1995.

المجلات:

- أبو نهرا جوزيف: المسيحيون و هاجس الحرية في العهد العثماني ، المؤتمر الدولي : خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات ، مركز الشرق المسيحي للبحوث و المنشورات ،جامعة القديس يوسف ، 24-26 جانفي 2013.
- أبيض ملكة: اقتصاد دمشق السياسي في القرن التاسع عشر ، مجلة المعرفة ، إصدار وزارة الثقافة ، ع 532،السنة 46،جانفي 2008،الجمهورية العربية السورية.

- أحمد محمد: الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876–1918م) ،مجلة جامعة دمشق مج27،ع1+2،2011،
- أديب محمد رغداء زيدان : طاهر الجزائري و حلقة دمشق الكبرى، التراث العربي، ع 108.(د،ت).
- البودي مازن: أثر البدو و قطاع الطرق على التجارة في بلاد الشام (1800–1918م)، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات التاريخية العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، مج37.ع1، 2015.
- بورابة لطيفة: دار جبري بمدينة دمشق، (دراسة تاريخية وأثرية)، معهد الآثار، جامعة الجزائر(2)، الجزائر، (د.ت).
- حاجي عبد العزيز: محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي مفسرا،التراث العربي، ع112، اتحاد كتاب العرب ، دمشق، 2009
- حسون جبار هادي ، ضرار خليل حسن: الأسباب الحقيقية لصدور التنظيمات العثمانية، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج3، ع6، (د.د .ن)، أكتوبر2016.
- حسين فلاح الكساسنة: دور الدولة العثمانية في حماية قوافل الحج ، مجلة طريق التربية و العلوم الاجتماعية ،ع 5(8)،جوان 2018،جامعة مؤتة، الأردن.
- رافق عبد الكريم :الاقتصاد الدمشقي في مواجهة الاقتصاد الأوروبي في القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات تاريخية ،ع 17–18،أوت – نوفمبر1984، إشبيلية للدراسات و النشر و التوزيع ،دمشق ، 1984.
- رافق عبد الكريم: مظاهر التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية، إشبيلية للنشر و التوزيع،دمشق،ع 1،مارس 1980.
- رميض مهدي صباح : التنظيمات العثمانية وتطبيقاتها في ميدان التعليم في ولاية سوريا1841– 1880م، طريق مجلة العلوم التربوية والاجتماعية، ع5(6)، كلية التربية ابن راشد، جامعة بغداد، أفريل 2018.
- زينب فيصل عبد القادر ، ريهام ابراهيم ممتاز: واقع الأسواق التقليدية دراسة تحليلية لدور الأسواق التقليدية في المدينة المعاصرة ، كلية الهندسة ، قسم الهندسة ، جامعة القاهرة، ديسمبر، 2009

- طالب محيي هيثم الجبوري، زينب حسن عبد الجبوري: أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج.23، ع03، 2015.
- الطباع خالد إياد : بواكير الطباعة والنشر في بلاد الشام في العهد العثماني، مركز أبحاث للفن والثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، اسطنبول، دمشق، 2009، 2005.
- طوبال فؤاد: دمشق سجل الحضارة و الفن، كلية الفنون الجميلة، دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008.جامعة دمشق.
- عبد اللطيف غنايم زهير غنايم: التمثيل النيابي وقوانين الانتخابات في الدولة العثمانية، المنار، مج، 13، ع 07، 2007 .
- عبيدات منصور ميسون : الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الإدارية في ولاية سورية في مرحلة التنظيمات العثمانية 1864–1918،حوليات آداب عين الشمس،جويلية 2009
- علي القيم: دمشق و لامارتين ، مجلة المعرفة ثقافية شهرية،ع 532، وزارة الثقافة ،ذي الحجة 1428هـ–جانفي 2008 ، دمشق.
- علي كامل حمزة سرحان: إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا و أحمد باشا (1704–1747م) دراسة تاريخية،مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج2،ع 1،جوان 2012.
- القصيباتي ندى: أثر البيئة المبنية على التوازن البيئي والعمراني(مثال: مدينة دمشق) التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، سوريا، ع 36، ديسمبر 2013.
- قماش فيصل: دراسة جيو خدمية للبنية العمرانية القديمة في مدينة دمشق ، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، مج40،ع02، 2018.
- محمود عامر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 117–118،جانفي –أوت ،2012.

- ملف من إعداد فريق تحرير القافلة: الطباعة طبعت عصرنا، مجلة القافلة، ماي2003.
- اليافي عبد الكريم : التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،التراث العربي ، مج12، ع45،أكتوبر ،1991.

المعاجم و الموسوعات:

- أحمد إسماعيل عزيز فوال بابتي : موسوعة الأعلام العرب و المسلمين و العالميين، دار الكتب العلمية، بيروت،ج3،1971.
- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي: معجم البلدان ،دار صادر، بيروت، مج (1)، 1977.
- الخطيب عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
- صابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة : عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

المقالات على شبكة الأنترنت:

- زيتون جوزيف: التعليم في ولاية سورية، 2013، تاريخ الاطلاع على الرابط: jose pheitoun _ com 2019/04/17
- منير عبد العزيز عمر: مقاهي دمشق في العصر العثماني ، جريدة الحياة إخبارية ثقافية ، (د.ع)،17 أوت2013، السعودية، تاريخ الإطلاع على الرابط2019/05/09. WWW.alhyat.com
- نصر أحمد شاهر: أجنة الديمقراطية في سورية في النصف الأول من القرن العشرين: www- m- ahewar- org ،2019/04/04

فهرس المحتويات

الفـــــــهـــرس

الشكر و العرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ-ج

الفصل التمهيدي:أوضاع دمشق خلال الحكم العثماني

1-الموقع و الأهمية.....06

أ. الموقع الفلكي و الجغرافي.....06

ب.البنية و التضاريس.....06

ج. الأهمية الحضارية لدمشق.....07

2-**أوضاع دمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1908م)**.....12

أ. التنظيمات العثمانية (1839-1876م).....12

ب.أثر التنطيمات العثمانية على دمشق (1876-1908م).....16

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية لسكان دمشق

1:بنية المجتمع الدمشقي.....21

أ- **الطبقةالخاصة**.....21

1. فئة الحاكمة.....21

2. فئة العلماء و رجال الدين و الأشراف.....22

3. فئة نظار الأوقاف.....24

ب- الطبقة العامة:.....25

1. التجار.....25

2. الحرفيون 25

3. الفلاحون.....26

ج- أهل الذمة:.....27

1. المسيحيون الدمشقيون.....27

2. اليهود الدمشقيون.....30
1. المستأمنون و المتفرنجون من أهل دمشق.....31
ج- باقي عناصر السكان:.....33
1. فئة البدو.....33
2.الفئة الرثة (لمهمشون).....33
2-مظاهر الحياة العامة في دمشق.....34
أ. **الاحتفالات العائلية**.....34
-الزواج عند المسلمين..... 34
-الزواج في الريف.....36
-الزواج في البدو.....37
-الزواج عند المسيحيين..... 38
-الزواج عند اليهود.....38
ب. الأعياد الدينية.....39
-أعياد المسلمين.....39
-أعياد المسيحيين.....42
-أعياد اليهود.....43
ج. احتفالات قافلة الحج الشامي.....45
3-المرافق الاجتماعية بدمشق.....49
أ. **الأسواق**.....49
ب. **المقاهي**.....51
ج. **الخانات** 54
الفصل الثاني:الحياة الثقافية للمجتمع الدمشقي خلال العهد العثماني
1-المؤسسات التعليمية.....60
أ . الكتاتيب.....63
ب. المدارس الحكومية.....63

ج. المدارس الخاصة.....66
2-الطباعة و المكتبات..... 69-73
3-الصحافة.....77
خاتمة.....86-88
الملاحق.....90 -93
قائمة المصادر و المراجع.....95-103
فهرس الموضوعات..... 105-107